دروس الإيمان في شهر رمضان

٣٠ درسًا

تأليف

الدكتور عبد المهيمن طحان

وكيل المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة

دار المنارة للنشر والتوزيع

جدة - مكة

السعودية

جَمِيع الحُقوق محْفوظَة

الطبعَة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

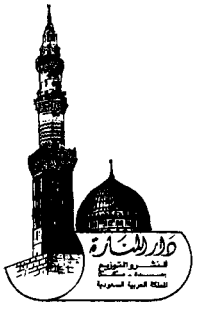

هاتف: ٦٦٠٣٦٥٢ - فاكس: ٦٦٠٣٢٣٨ - المستودع: ٦٦٧٥٨٦٤
جدة ٢١٤٣١ - ص.ب: ١٢٥٠ - المملكة العربية السعودية

دُروسُ الإيمانِ في شَهرِ رَمضانَ

٣٠ دَرسًا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد فهذه دروس كتبتها أرجو أن تذكر المسلمين بأبواب الخير في شهر رمضان، وترشدهم إلى أنواع من الطاعات، وتدلهم على كثير من القربات في شهر الخير والإحسان.

وجعلتها ثلاثين درساً على عدة أيام الشهر المبارك، لتساعد أئمة المساجد في إلقاء موعظة يومية على المصلين. واتخذت فيها الآية الكريمة والحديث الشريف عمدتي، مع شرح مبسط للنصوص يناسب عوام المسلمين.

أسأل الله تعالى أن يجعل فيها الفائدة والذكرى، وأن يرزقني بها كريم الأجر إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة

١٤١٧/٣/١

عبد المهيمن طحان

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فهذا هو الدرس الأول من دروس الإيمان في شهر رمضان وكل عام وأنتم بخير، وأسأل الله تعالى أن يرزقني وإياكم في هذا الشهر الكريم: الصيام والقيام، وأن يتقبل صيامنا وقيامنا، ويعتق من النار رقابنا، ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا، إنه سميع مجيب.

عباد الله:

إن من فضل الله تعالى على عباده، أن جعل لهم مواسم للعبادة، يجتهدون فيها في طاعة ربهم، وينفضون عن أنفسهم غبار الكسل، ويتحررون من أسر الرتابة، ويتنبهون من رقاد الغفلة.

ومن أهم هذه المواسم شهر رمضان المبارك، الذي دخلنا بفضل الله تعالى في الأول من أيامه، وأسأل الله تعالى أن يبلغنا ختامه، وأن يعيده علينا أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة، مع التوفيق لما يحب ويرضى من القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أقول يا إخوة، إن رمضان موسم عبادة، وهو بمثابة دورة تربوية، أو مدرسة إيمانية، تهدف إلى رفع كفاءة المسلمين في أدائهم العبادات، وفي استقامة أخلاقهم وسلوكهم على طريق الإسلام، كما

قال ربنا جل وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة/ ١٨٣].

فالتقوى هي الهدف المنشود من الصيام، ومن أوصله صيامه إلى التقوى فقد نجح في هذه الدورة التربوية، ومن لم يوصله صيامه إلى التقوى كان من الفاشلين فيها، وحرم جائزة نهاية الدورة في مدرسة الصوم ألا وهي العتق من النار، وهي جائزة عظيمة لا تعد لها جائزة، كما أن خسارة هذه الجائزة خسارة جسيمة لا تساويها خسارة.

ومن هنا فقد استحق الفاشلون في مدرسة رمضان الإيمانية، دعاء جبريل عليه السلام بإبعادهم، كما جاء عن الحسن بن مالك بن الحويرث، عن أبيه، عن جده قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فلما رقي عتبة قال: آمين، ثم رقي أخرى فقال: آمين، ثم رقي عتبة ثالثة فقال: آمين. ثم قال: أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، فقلت: آمين، قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين، قال: ومن ذكرتَ عنده فلم يصل عليك فأبعده الله فقلت آمين.

[رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الحاكم من حديث كعب بن عجرة]

ومن ناحية ثانية فإن مدرسة الصوم، وَضَعتْ حوافز تشجيعية عظيمة للصائمين، منها مضاعفة أجور أعمال الخير في رمضان سبعين ضعفاً، كما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في خطبته عن فضائل شهر رمضان، قال عليه الصلاة والسلام: «من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه» [الحديث، رواه ابن خزيمة في صحيحه].

ومن الحوافز ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل ـ أي في الحديث القدسي ـ «كل

عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة ـ أي وقاية من النار ـ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم، إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» [رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري].

وفي رواية لمسلم: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» [الحديث].

ومن الحوافز التشجيعية ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي]. وما روى أبو هريرة أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ يرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ثم يقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه البخاري ومسلم].

وفي رمضان يمهد طريق الطاعة، ويُذَلَّل طريق العبادة، وتُزال أهم العقبات من طريق الصائمين، وذلك بتكبيل مردة الشياطين بالأغلال، فلا يخلصون في رمضان إلى ما كانوا يخلصون إليه من الشر في غير رمضان، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فُتّحت أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» [رواه البخاري ومسلم].

وإذا كان في مدرسة رمضان كل هذه الحوافز والمغريات، وكانت جائزة النجاح فيها هي العتق من النار، ثم تقاعسَ الصائم عن الاجتهاد في بلوغ النجاح، ولم يهتم بعاقبة هذه الدورة الإيمانية، أفلا يستحق أن يدعو عليه جبريل عليه السلام بالطرد والإبعاد؟

وليت شعري من لم يغفر له في رمضان فمتى يغفر له؟! ومن لم يكتب له عتق من النار في رمضان فمتى يحوز هذا العتق من النار؟!

وقد يسأل سائل وكيف السبيل إلى الفوز في مدرسة رمضان، والنجاحِ في دورة الإيمان في شهر الصيام؟

أقول: السبيل هو أداء الصيام على الوجه الشرعي، مع التخلق بأخلاق الصيام، والتأدب بآدابه، إضافةً إلى اجتناب كل ما ينافي الصيام من قول أو خلق أو سلوك. وبعبارة أخرى تحقيق هدف الصيام وهو التقوى. فإذا قيل: وما هي التقوى؟ أقول: باختصار، هي الالتزام بما أمر الله به من خلق وسلوك، وترك ما نهى الله عنه من خلق وسلوك.

وأنا أعلم أن هذا الإجمال في الجواب لا بد له من تفصيل، وهذا الاختصار يلزمه شرح وبيان، حتى تتضح صورة الصيام الشرعي المطلوب، ولكي نعرف أخلاق الصيام فنلتزمها، وآدابَه فنتمسكَ بها، وحتى نعلمَ ما ينافي الصيام من الأخلاق والأقوال والأعمال فنبتعد عنها ونحذرها، وموعدنا الدروس القادمة إن شاء الله، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين،

وبعد فهذا هو الدرس الثاني من دروس الإيمان في شهر رمضان وفي هذا الدرس سنلقي الضوء على مدرسة الصوم في هذا الشهر المبارك، لنتعرف على هذه المدرسة المباركة، ونلم بمنهج الدراسة والتدريب فيها، فأقول وبالله التوفيق: إن مدرسة رمضان هي مدرسة الإيمان والتقوى، وهي مدرسة موسمية، تفتح أبوابها في هذه الأيام المباركة من كل عام، لتستقبل أفواج الصائمين من كل جنس ولون، وكل بلد ولغة، وفي كل صقع من أصقاع الدنيا، لا تضيق فصولها عن استيعابهم، ولا تغلق بابها دون راغب منهم.

وفي هذه المدرسة الإيمانية، ينتظم الصائمون في دورة تدريبية عملية، يومياً آناء النهار وجزءاً من الليل، حيث يتلقى الصائمون دروس التقوى في التوبة والاستغفار، والتحذير من المعاصي وشرورها، وفي وجوب الإخلاص وصفاء القلب، وفي الذكر والدعاء، والخوف من عذاب الله تعالى والرجاء في رحمته، والاعتماد في الأمور كلها عليه، والالتجاء في الحوائج إليه، كما يتلقون تدريبات عملية على تهذيب النفس، وكبح جماح شهواتها، وضبط نزواتها، والسمو برغباتها وتطلعاتها.

وفي مدرسة رمضان يتقن المسلمون درس الصبر بكل فروعه وشعبه، الصبر على الأذى واحتمال المكروه، والصبرِ على المصيبة والبلاء، والصبرِ على مشقة العبادة وقيام الليل، والصبرِ عن المعاصي ولذاتها، والآثام ومغرياتها.

وتُدرّب مدرسة الصوم المسلمين عملياً، على حب الخير للآخرين، والشعور بحرمان المحرومين، ومواساة الضعفاء والفقراء والأيتام، والتعاون على البر والتقوى، والتكافل وصلة الأرحام، ورحمة المساكينِ والأجراءِ والمستخدمين.

ليس هذا فحسب، بل وفي مدرسة الصوم مقرر يعنى بالتدريب على البذل والإنفاق والجود والكرم، لتتحرر نفوس الصائمين من الشح والبخل، وتنعتق من العبودية للمال والذل للدرهم والدينار، ثم مقرر ضبطِ اللسان وعَقْلِه إلا عن خير، هذا العضو الصغير الذي يُكَب الناسُ في النار يوم القيامة على وجوهم أو مناخرهم بسبب شروره وآثامه، فيتعلم الصائمون كيف يتحكمون في ألسنتهم لئلا تقودهم إلى غضب الله وعذابه، فيخرج الصائم من مدرسة رمضان، وقد تنزه لسانه عن السب والشتم، والرفث والفحش، والغيبة والنميمة، والهمز واللمز، وقول الزور وشهادة الزور، وغدا لسانه يقول خيراً فيغنم، أو يسكت عن شر فيسلم.

هذا وتعقد مدرسة الصوم بين المسلم وبين كتاب الله تعالى صلة قوية، ورابطة متينة، فرمضان شهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة/ ١٨٥].

والقرآن هو كتاب هذا الدين، فيه دلائل الهدى وأعلامه، والفصل في الأحكام، وبيان الحلال والحرام، وفيه شفاء النفوس من أدوائها، وبرء الأرواح من أوصابها، وفي تلاوته غذاء الإيمان، وجلاء الهموم والأحزان، وهو بعد كما قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلقُ من كثرة الرد، أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الحاكم وصححه].

لقد كان رسول الله ﷺ ينبه أصحابه إلى فضل مدرسة رمضان في بداية دورتها السنوية، فيبين لهم أهمية المدرسة، وجائزة النجاح، ويشرح لهم منهج الدراسة، ومقررات التدريب في هذه الدورة، كيلا تضيع فرصة السنة على أحد من الأصحاب الكرام. فالإنسان لا يدري، هل يعيش إلى سنة أخرى؟ أو يقضى عليه في سنته؟ فلا يدخل مدرسة الإيمان والتقوى في رمضان مرة أخرى؟

عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليلة تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم.

فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخر عتق من النار. من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار.

واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بها ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غَناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار. ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة». [رواه ابن خزيمة في صحيحه ثم قال: إن صح الخبر][1].

وإذا كان في مدرسة رمضان كل هذه الخيرات، من مضاعفة للحسنات ومغفرة للسيئات، وعتق للرقاب من النار، أعظم ما يطمح إليه المسلم، ويرجوه المؤمن، فما أجدرنا أن نبادر إلى الانضمام لروادها، وما أحرانا أن ندخل دورة الإيمان في رمضان بهمة ونشاط، وأن نجدّ ونجتهد في هذه الدورة، ليكون حظنا في النجاح أوفر، ونصيبنا في الفوز بمغفرة الذنوب أكبر، وأهليتنا للعتق من النار في نهاية الشهر أوكد وأجدر.

عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الصيام جنة يستجن بها العبد من النار) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن. وللإمام أحمد من حديث أبي هريرة مرفوعاً (جُنة وحصن حصين من النار). اللهم اكتب لنا في هذا الشهر الكريم عتقاً من النار، برحمتك يا عزيز يا غفار، يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد و على آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) للشيخ أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري رسالة بعنوان (البرهان على تحسين حديث سلمان) انتهى فيها إلى أن الحديث حسن.

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد فهذا هو الدرس الثالث من دروس الإيمان في شهر رمضان تقبل الله منا جميعاً الصيام والقيام إنه سميع مجيب. عباد الله في حديث سلمان رضي الله عنه، الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه، قال رسول الله ﷺ: «واستكثروا فيه - أي في رمضان - من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غَناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غَناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار» الحديث.

هذه أربع خصال يرشدنا رسولنا عليه الصلاة والسلام إلى الإكثار منها في هذا الشهر المبارك، ونبدأ اليوم بالخصلة الأولى، ألا وهي شهادة أن لا إله إلا الله. وهذه الشهادة هي الباب الذي يدخل منه المسلم إلى هذا الدين، ولا يصح إسلام عبد بغيرها، وذلك لأن فيها نفي الألوهية عن كل شيء، وإثباتها لله جل وعلا وحده، فهي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص، وهي أفضل ذكر لله عز وجل، كما جاء عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل الذكر لا إله إلا الله» [رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن].

وحيث إن ترداد هذه الشهادة يرضي الله عز وجل، لذلك فرسول الله ﷺ يرشدنا إلى أن نكثر منها في هذا الشهر الكريم، فإذا رضي الله جل وعلا عنا، فقد أحرزنا كل خير، ونلنا أعظم مطلوب. ولكلمة التوحيد أجر عظيم في سائر الشهور والأيام، ولكنْ في شهر الصوم لها أجر أكثر، وثواب أوفر، ومما ورد في فضلها وثوابها ما جاء عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل». [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة رضي لله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمل أكثر منه» [رواه البخاري ومسلم].

وترداد كلمة التوحيد باللسان ينبغي أن يصحبه تفكر العقل في معناها، وتدبر القلب لمغزاها، وبذلك ينطبع التوحيد في قلب المسلم، ويضرب بجذوره في فؤاده ونفسه، وتظهر آثاره وثماره على خلقه وسلوكه، فيغدو يراعي رضا الله تعالى في كل تصرف، ويتحرى موافقة أمر الله جل وعلا في كل سلوك وتعامل، بعد أن امتلأت نفسه بالشعور بعظمة الله عز وجل، وتفرده سبحانه بالألوهية، والربوبية، والقوامة، والسلطان في هذا الكون.

وعندها ترى المسلم لا يخشى إلا الله تعالى، ولا يعتمد إلا عليه، ولا يرجو إلا ثوابه، ولا يخاف إلا عقابه، يسأل الله تعالى حوائجه ولا يسأل العبيد، ويتوجه بعباداته وقرباته إلى وجه ربه عز

وجل، لا يرائي العباد، ولا يتصنع لهم ليحمدوه، لأنه قد علم أن النفع والضر، والخير و الشر، والعطاء والمنع، والغنى والفقر، والصحة والمرض، كل ذلك بيد الله تعالى وحده، وليس في أيدي العبيد جميعاً من ذلك شيء، كما جاء في حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

إن عقيدة لا إله إلا الله حين تتمكن من قلب المسلم، وحين يزيدها تمكناً في فؤاده إكثاره من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عندها يتحرر المسلم من الرغبة في الرياء، ولأي شيء يرائي الناس إذا كان الناس لا يملكون له نفعاً ولا ضراً؟ ويتحرر من الكذب، ولأي شيء يكذب؟ إن كان جلباً لمنفعة، فالنفع بيد الله وحده، وإن كان لدفع ضر، فالذي يدفع الضر هو الله جل وعلا وحده.

ويتحرر المسلم من الشح والبخل، لأنه عندها لا يخاف الفقر، لأن الرزق بيد الله تعالى وحده، ويتحرر من الجبن والخور والفشل، لأن الموت والحياة بيد الله وحده، لا يقرّب أجل الإنسان إقدامٌ، ولا يؤخره إحجام. ويتحرر المسلم عندها من الظلم والعدوان، وكيف يظلم الناس وهو تحت عين الله تعالى وبصره؟ فمن ينجيه من غضب الله تعالى إذا نزل به عقاب ربه جل وعلا بسبب الظلم. وهكذا، نرى أن للإكثار من كلمة التوحيد، آثاراً واسعة في حياة المسلم، وسلوكه

وخلقه، فلا عجب أن يرشدنا رسولنا ﷺ إلى الاستكثار من شهادة أن لا إله إلا الله، في هذا الشهر المبارك، باعتبارها سبيلاً إلى رضوان الله عز وجل على العبد.

إن توحيد الله جل وعلا، والإخلاص له سبحانه لهما المرتبة العليا في هذا الدين، والإخلاص هو ثمرة التوحيد، والصيام يقوي في الصائم عزمه على الإخلاص، ويدرّبه على أن يريد بأعماله وجه ربه عزوجل وثوابه، لأن الصيام عبادة لا يطلع عليها العباد، فهي عبادة بين العبد وربه، ولذلك كان للصوم أجر عظيم، لا يتحدد بأضعاف معدودة، كما جاء في الحديث الصحيح «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف قال الله ـ أي في الحديث القدسي ـ إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

لذلك ينبغي أن نجتهد في إخلاص أعمالنا وعباداتنا لله عز وجل، وأن نبرئها من شائبة الرياء، لأن الرياء يحبط الأعمال، ويبطل ثوابها، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل ـ أي في الحديث القدس ـ أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه» [رواه مسلم].

وختاماً فهذه رقية من رسول الله ﷺ تنفع بإذن الله عز وجل وتوفيقه في الوقاية من الرياء، وتعين على إخلاص النية لله عز وجل. عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل. فقال من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى عن دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه». [رواه أحمد والطبراني ورواته ثقات].

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد فهذا هو الدرس الرابع من دروس الإيمان في شهر رمضان. عباد الله: أوصانا رسول الله ﷺ، أن نستكثر في هذا الشهر الكريم من خصلتين نرضي بهما ربنا: الأولى شهادة أن لا إله إلا الله، والثانية كثرة الاستغفار وقد كان الدرس الماضي عن شهادة أن لا إله إلا الله، وسيكون درس اليوم بعون الله تعالى عن الاستغفار.

اقتضت حكمة الله تعالى أن يركّب في نفس الإنسان دوافع إلى الخير، ونوازع إلى الشر، ونوازعُ الشر هذه تسبب وقوع الإنسان في المعصية، وتدفعه إلى ارتكاب السيئات، فكل إنسان لا بد أن يفعل شيئاً من الذنوب، وأن يرتكب بعض المعاصي، مهما اجتهد في البعد عن المخالفات، واللهُ سبحانه وتعالى علم أن عباده ستكون لهم سيئات، لذلك فقد فتح لهم باب التوبة والاستغفار، رحمةً منه بعباده وفضلاً، وهو أرحم الراحمين. كما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم» [رواه مسلم في صحيحه].

والاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة: هي وقاية شر الذنوب مع سترها، كما يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله، فقول القائل أستغفر الله، معناه أطلب مغفرته، فهو كقوله اللهم اغفر لي.

هذا، وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الاستغفار، على الرغم من كونه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ذلك لأن الاستغفار عبادة من أفضل العبادات، لأن كثرة استغفار العبد ترضي ربه عز وجل عنه، كما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ في فضائل شهر رمضان، ومما جاء في الروايات في كثرة استغفاره ﷺ، ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم» [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث صحيح].

ولأهمية الاستغفار فقد كثر ذكره في القرآن الكريم على أنحاء مختلفة.

فتارة يؤمر به كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]. وقوله جل وعلا ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥]. وقوله عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وتارة يُذكر أن الله تعالى يغفر لمن استغفر، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وتارة يُطْمِع العصاة في المغفرة مهما كثرت ذنوبهم، كقوله عز وجل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

إن الله تعالى يحب من عبده أن يستغفره، وأن يرجو رحمته، لأنه عز وجل هو الغفور الرحيم، وقد جاء في الحديث، فيما روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم» [رواه مسلم في صحيحه]. وهذا الحديث ليس ترغيباً في فعل الذنوب، كلا، وإنما هو ترغيب في الاستغفار، وبيانٌ لحبه عز وجل أن يُستغفر، ورضاه عن عباده إذا استغفروه. وفي هذا المعنى روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عبداً أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً فاغفر لي، قال الله تعالى: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً آخر، فذكر مثل الأول مرتين». [رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم قال في الثالثة «قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء». أي ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر].

هذا وإن للاستغفار الكثير فوائد متعددة، فوق مغفرة الذنوب، ومن فوائده أنه يصقل القلب، ويُذهب عنه أثر المعصية، لأن المعصية تترك في القلب سواداً وقترة، فإذا استغفر العبد من ذنبه صقل قلبه، وذهب أثر المعصية، وإن تابع المعاصي تتابع السواد على قلبه حتى يغلفه، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر صُقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم].

ومن فوائد الاستغفار أنه سبب لتثمير الأموال، وتوسعة الأرزاق، وتكثير الذرية والأولاد، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]. وقال جل وعلا على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: الاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار، كما مدح الله تعالى أهله، ووعدهم بالمغفرة. أي في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦].

قال: وأفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، كما في حديث شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعتمك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» [أخرجه البخاري].

فاستكثروا يا عباد الله في هذا الشهر المبارك من الاستغفار، فإن الاستغفار يرضي ربكم، ويمحو ذنوبكم، ويزيد في رزقكم، ويبارك في ذرياتكم، ويجلو صدأ قلوبكم، عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفار كثير». [رواه ابن ماجه بإسناد صحيح].

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد فهذا هو الدرس الخامس من دروس الإيمان في شهر رمضان. عباد الله: لقد كان من وصية رسول الله ﷺ، للمسلمين كما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه في فضائل شهر رمضان، أن نستكثر في هذا الشهر المبارك من خصلتين لا غناء بنا عنهما، وهاتان الخصلتان هما: أن نسأل الله تعالى الجنة، ونعوذ به من النار. ولبيان أنه لا غناء بنا عن هاتين الخصلتين أقول: إن حياتنا في هذه الدنيا مؤقتة، وحياتُنا الدائمة بعد ذلك هي في عالم آخر، بعد أن نُرَدّ إلى الله تعالى للحساب، هنالك ينتهي الأمر بالناس إلى أن يفترقوا فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فأما فريق الجنة، فقد سعد سعادة عظيمة، هي أعظم من أن يحيط بها وصف أو خيال، وأما فريق النار، فقد تعس تعاسة عظيمة، هي أعظم من أن يحيط بهولها وصف أو خيال، وإن أعظم ما يدركه الإنسان من الفوز في حصيلة هذه الحياة، هو أن يكتب له نجاة من النار يوم القيامة ونصيب في دخول الجنة، كما قال ربنا سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والله تعالى أعد لعباده الصالحين في الجنة من النعيم، ما لا يدركه الإنسان بخياله مهما اتسع، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: ـ يعني في الحديث القدسي ـ أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾». [رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه].

غير أن الله تعالى، وصف لنا هذا النعيم في كتابه، لا لندركه على الحقيقة، فذلك ليس في قدرتنا، وإنما ليقربه إلى أذهاننا، ومما وصف الله تعالى به نعيم أهل الجنة قولُه جلا وعلا: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢ ـ ٢٢].

ومما جاء في وصف نعيم الجنة في كتاب الله تعالى ـ وهو كثير جداً ـ قوله جل وعلا ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ٢٦].

ويقرّب إلى أذهاننا رسولُ الله ﷺ نعيم أدنى أهل الجنة منزلة، فيقول فيما روى المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أن موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: ربِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ـ أي درجاتهم ـ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينُك، فيقول: رضيت رب. قال: فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر». [رواه مسلم].

وإذا كان لأدنى أهل الجنة منزلة مثل ما لستة وستين ملكاً من ملوك الدنيا، فمهما بذل المسلم من أجل دخول الجنة يعتبر قليلاً بالقياس إلى نعيمها، ومهما تَعِب ونَصِب في سبيل الفوز بدخولها، كان تعبه ونصبه لا يذكر بالقياس إلى سعادته وهناءته فيها. إن ساعة واحدة أو جزءاً من الساعة يمضيه في الجنة، يذهب بكل تعبه ونصبه، كما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» [رواه مسلم].

غمسةٌ واحدة في الجنة تُنسي الإنسان كل تعبه في الدنيا، حتى

لو كان أشدَّ الناس بؤساً في الدنيا، وغمسةٌ واحدة في النار تُذهل الإنسان عن كل نعيم الدنيا وشهواتها، حتى وإن كان أنعم إنسان في الدنيا، أعاذني الله تعالى وإياكم من حرها وسمومها، وغسّاقها وزقّومها، وحميمها وضريعها، إن عذاب النار ـ يا عباد الله ـ يُذهل كل مرضعة عما أرضعت، ويجعل الإنسان يود لو يفتدي من عذابها ببنيه، وزوجه وأخيه، وعشيرته ومن في الأرض جميعاً، ثم ينجو برأسه من أهوالها. يقول الله تعالى في وصف شراب أهل النار ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [القتال: ١٥]. ويقول جل وعلا في وصف طعامهم ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٩].

هذا ويقرّب إلى أذهاننا رسولُ الله ﷺ عذابَ أهل النار، فيقول فيما روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن أهونَ أهل النار عذاباً، رجل في أخمص قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل بالقمقم» [رواه البخاري، ومسلم ولفظه: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً]. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن نار جهنم أشدُّ من نار الدنيا في حرارتها بسبعين ضعفاً، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ناركم هذه ما يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافية قال: إنها فُضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها». [رواه البخاري ومسلم].

وختاماً فإن أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المسلم في هذا الشهر

المبارك هو أن يكثر من سؤال الله تعالى الجنة، والتعوذ به من النار، كما أوصانا رسول الله ﷺ، لأن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. وكان أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» [رواه البخاري]. وكان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه التعوذ من عذاب النار، ويحضهم عليه، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام: «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». [رواه الإمام مالك ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي].

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد،وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد فهذا هو الدرس السادس من دروس الإيمان في شهر رمضان عباد الله:

يقول الله جل وعلا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

في هذه الآية الكريمة، بيان لمزية عظيمة من مزايا شهر رمضان المبارك، حيث اختصه الله جل وعلا من بين سائر الشهور، لإنزال القرآن الكريم، فأُنزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان، في ليلة القدر، كما قال ربنا سبحانه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ وقال جل وعلا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]. وكان نزول القرآن جملة، في ليلة القدر، في شهر رمضان، إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً بحسب الوقائع والحوادث، في ثلاثة وعشرين عاماً.

وليس القرآن وحده الكتابَ الذي أنزل في شهر رمضان، بل إن سائر الكتب الإلهية، أنزلت على الأنبياء في شهر رمضان كذلك، كما أخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده، عن واثلة بن الأسقع، أن

رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مَضَين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان؛ وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان». قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «وقد روي من حديث جابر بن عبد الله وفيه: أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثماني عشرة والباقي كما تقدم، رواه ابن مردويه». اهـ كلامه.

فشهر رمضان هو شهر القرآن، بما أن الله تعالى اختاره لإنزال القرآن، وكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ في رمضان، فيدارسه القرآن، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فَلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل، أجودُ من الريح المرسلة» [رواه البخاري ومسلم].

فينبغي أن نقبل على القرآن الكريم في شهر الصوم، زيادةً عن سائر الشهور، فنكثرَ من تلاوته، ومدارسته، وحفظه، وتعلم أحكامه؛ وحلاله وحرامه، أسوةً برسول الله ﷺ، وجبريلَ عليه السلام، في اجتماعهما على مدارسة القرآن.

وما أجمل أن نجتمع في بيوت الله تعالى، على مدارسة القرآن الكريم، في هذا الشهر المبارك، إما في حلقة لتعليم التلاوة والتجويد، وإما في درس لتفسير آيات الكتاب العزيز، وإما في تلاوة مع التدبر والتفكر في مواعظ القرآن الكريم وهداياته. لأن هذا الاجتماع على مدارسة القرآن في المساجد، سبب لخير عظيم، وفضل كبير من الله جل وعلا، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة،

وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم، وأبو داود. هذا في سائر الشهور، فكيف إذا كان الاجتماع والتدارس في رمضان، شهر القرآن؟ لا ريب أن الأجر أعظم، والثواب أوفر.

وإن أفضل ما يتعلمه المرء من علوم دينه، هو القرآن الكريم، وما يتصل به، وذلك لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم].

ولا يقولن أحد إني قليل الحظ من الثقافة، فَتَعَلُّم القرآن عليّ شاق، فإن الثواب على قدر المشقة، وإن المشقة في تعلم القرآن يضاعف أجرها، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران» وفي رواية: «والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران» [رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي وابن ماجه].

عباد الله:

إن القرآن الكريم فيه من المواعظ ما تلين له الصخور الصماء، كما قال ربنا سبحانه ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وفيه من الهدى والرشاد، والحكمة والسداد، ما يوصل الإنسان، إلى كل خير، ويجنبه كل شر، كما قال ربنا جل وعلا ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

وفي القرآن الكريم، ترغيب في فضائل الأخلاق، وترهيب من رذائلها، بما يرتقي بالإنسان إلى أعلى مستوى للكمال الإنساني، إذا

تخلق بأخلاقه، كما قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]. وقال جل من قائل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وهنا أمر لا بد من التنبيه عليه وهو أن تلاوة القرآن الكريم، إنما تُطْلَب للتدبر في أمثاله، والتأثر بمواعظه، والائتمار بأوامره، والانزجار عن نواهيه، كما أن مدارسةَ القرآن الكريم، إنما رُغِّب فيها، لأجل التعرف على هدايات القرآن الكريم، وإرشاداته، وفرائضه، وحدوده، الفاصلة، بين الحلال والحرام.

قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] أما التلاوة دون تدبر ولا اتعاظ، وترديدُ ألفاظه دون تفكر ولا استرشاد، فإن هذه التلاوة مكروهة، فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً قال له: قرأت المفصل البارحة كله. فقال عبد الله: هذّاً كهذّ الشعر؟ أي قراءة سريعة دون تدبر ولا اتعاظ كقراءة الشعر.

فينبغي للتالي، أن يكون همه في التأثر، والاستفادة من توجيهات القرآن الكريم، لا أن يكون همه في الوصول إلى آخر السورة، أو آخر الجزء، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٣].

أي بيِّنه تبيينا، بمعنى اقرأه على مهل وتؤدة. وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي لتقرأه على الناس على تؤدة ومهل.

ومن عجيب أمر هذا القرآن الكريم وإعجازه، أن الهدى مبذول فيه لكل تال، مهما كانت درجة ثقافته، وأن إرشاده لا يحجب عن سامع منصت، وإن كان أُمياً، هذا مع العلم، أن الناس يتفاوتون في مدى استفادة كل منهم من هدايات القرآن الكريم وإرشاداته، بحسب

استعدادهم للتلقي عنه، فبعض الناس أصفى قلباً من بعض، وبعضهم أرق فؤاداً من بعض، ولكن الجميع ينتفعون بتلاوة آيات القرآن الكريم ومدارستها، ويزيد الإيمان في قلوبهم بها كما قال ربنا سبحانه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الإنفال: ٢].

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وشفاء أحزاننا، وذهاب غمومنا وهمومنا، اللهم ذكرنا منه ما نُسّينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته على النحو الذي يرضيك عنا، واجعله شافعاً لنا، وحجة عندك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فهذا هو الدرس السابع من دروس الإيمان في شهر رمضان. عباد الله:

لقد جاء في حديث سلمان عن رسول الله ﷺ، في فضائل شهر رمضان المبارك، قولُه ﷺ: «وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة».

ومن الشهرة بمكان أن من المقاصد الشريفة لفريضة الصوم، أن يتعلم المسلم الصبر عما يشتهي، ويتدرب على التحكم في رغبات نفسه ودوافعها، لتقوى إرادته على ضبط تصرفاته وانفعالاته، فالإنسان يسمو ويرتقي بمقدار قدرته على ضبط تصرفاته، وعلى التحكم في انفعالاته، كما أن الإنسان ينحدر ويسفل، بمقدار فقدانه السيطرة على نوازعه وشهواته، وضعفِ إرادته أمام رغباته وانفعالاته.

وأصل الصبر في اللغة: المنع والحبس وعليه فالصبر حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عما لا ينبغي. وقيل أصل الكلمة من الشدة والقوة، ومنه قيل الصَّبِر للدواء المعروف، لشدة مرارته وكراهته، قال الأصمعي: إذا لقي الرجل الشدة بكمالها قيل لقيها بأصبارها. وقيل: الصبر مأخوذ من الجمع والضم، فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع، ومنه صُبْرة الطعام، أي الكومة المجموعة.

قال ابن القيم رحمه الله: والتحقيق أن في الصبر المعاني الثلاثة: المنعَ والشدةَ والضمَّ.

وشهر الصوم مدرسة الصبر، والصبر أساس كل فضيلة في خلق المسلم وسلوكه، فالعفة مثلاً هي الصبر عن شهوة الجنس، وكتمان السر هو الصبر عن شهوة التمدح بأظهار ما يُعجب الناس، ويَسُرهم العلمُ به، والزهد هو الصبر عن زينة الدنيا وزخرفها، والقناعة هي الصبر على الكفاية، أو الصبر عما زاد عن حاجة الإنسان، والحلم هو الصبر عن إجابة داعي الغضب، والوقار هو الصبر عن إجابة داعي العجلة، والصفح هو الصبر على إجابة داعي الانتقام، وهكذا، يقول ابن القيم رحمه الله: (وهذا يدلك على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من أولها إلى آخرها) اهـ.

ومدرسة الصوم في رمضان، تعلمنا الصبر ليس عن الطعام والشراب والجنس فقط، وإن كان في الصبر عن هذه الشهوات خير عظيم، ونفع كبير، إلا أن مدرسة الصوم في رمضان منهجُها أوسع من ذلك، وغايتها أسمى وأرقى.

إن الصوم يهدف إلى تعلم المسلم درسَ الصبر كاملاً، وتدريبه على الصبر بمختلف صنوفه ودرجاته. ومن هنا ندرك سرَّ قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني صائم، إني صائم» [رواه البخاري ومسلم]. وندرك سرَّ قوله في الحديث الذي رواه أبو هريرة كذلك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد، أو جهل عليك، فقل إني صائم إني صائم». [رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم].

وإذا كان الصبر أساس كل فضيلة خُلُقية أو سلوكية، وكان له ارتباط وثيق بكل مقامات الدين ودرجاته، وجميع شعب الإيمان وخصاله، فلا عجب أن نرى حديث القرآن الكريم عن الصبر حديثاً طويلاً مكروراً، منوعاً ومفصلاً، في آيات كثيرة، وسور وفيرة، فمرة يقرنه القرآن الكريم بالصلاة، كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وأخرى يقرنه بصالح الأعمال كقوله جل وعلا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١]. وثالثة يقرنه بالتقوى كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] ومرة رابعة يقرنه بالشكر، كما في قول الحق سبحانه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١] وخامسة يقرنه بالرحمة في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]. وسادسة يقرنه باليقين، كما في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

هذا والصبر يقسم إلى ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله تعالى، وصبر عن معصية الله تعالى، وصبر على البلاء والمصيبة. والمطلوب من المؤمن أن يكون صابراً على طاعة الله تعالى، صابراً عن معصية ربه، صابراً على ما يصيبه من بلاء، وما ينزل به من مصائب. وشهر رمضان بتدريبه الصائمين على قوة الإرادة، وثبات العزيمة، يؤهلهم للصبر بأنواعه الثلاثة، يؤهلهم للصبر على طاعة الله تعالى بتدريبهم على مكابدة قيام الليل في رمضان، ومصابرة ساعات النهار واحدة تلو الأخرى، حتى تغرب الشمس، ويحينَ موعد الإفطار. ويؤهلهم للصبر عن معصية الله تعالى، بتدريبهم على الامتناع عن إجابة داعي أقوى شهوتين في نفس الإنسان: شهوة البطن وشهوة الفرج خلال ساعات النهار، ويؤهلهم للصبر على ألم المصيبة، وقَرْح البلاء، بتدريبهم على مكابدة آلام الجوع دون شكوى، ومقاساة حر العطش دون تذمر.

ولما كان الصيام بهذه المثابة في تقوية إرادة الإنسان، وتدريبه على الصبر بأنواعه ودرجاته. فإن رسول الله ﷺ اعتبر الصيام جنة أي وقاية تقي العبد، قال بعض العلماء: إنه وقاية من المعاصي، وقال بعضهم: إنه وقاية من النار، ولا تناقض في الحقيقة، لأن الوقاية من المعاصي، هي وقاية من النار، بالنظر إلى عاقبتها ومآلها.

هذا، ويوجه رسول الله ﷺ شباب المسلمين، الذين لا يجدون مؤونة الزواج، ولا يملكون تكاليفه، يوجههم إلى الصيام باعتباره وجاءاً، أي يقوي إرادة الصائم على التحكم في شهوة الجنس، كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي].

وإذا كان للصيام هذا الدور في التدريب على الصبر، حتى لقد سمى رسول الله ﷺ شهر رمضان شهر الصبر، وكان للصبر ما سبق من شرح مكانته من الإيمان وشعبه وأخلاقه، فلا غَرو ولا عجب أن يكون ثواب الصوم عظيماً، بحيث لا يعدله شيء من الأعمال الصالحة. كما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: «قلت يا رسول الله مرني بعمل. قال: عليك بالصوم، فإنه لا عدل له. قلت: يا رسول الله مرني بعمل. قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له. قلت: يا رسول الله مرني بعمل. قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له». [رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وصححه وابن حبان]. وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد فهذا هو الدرس الثامن من دروس الإيمان في شهر رمضان. عباد الله:

لقد حدثتكم في الدرس السابق، عن كون رمضان شَهرَ الصبر، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، عن فضائل شهر رمضان الذي رواه سلمان رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: «وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة». واليوم أحدثكم عن قوله ﷺ: «والصبر ثوابه الجنة» فأقول وبالله التوفيق: إن «الجنة هي ختام ثواب الصابرين، ولهم قبل أن يصلوا إلى الجنة ميزات ومكافآت، ومنح وعطيات من الله جل علا، في الدنيا قبل الآخرة. ومن ذلك أن الصابرين أحباب الله جل وعلا في هذه الدنيا كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ومنها معية الله تعالى، كما قال ربنا جل وعلا ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وهاتان الخصلتان إذا تأملنا فيهما هان علينا الصبر بأنواعه ومشقاته. لأنه لا مطمع لمؤمن وراء محبة الله تعالى له، ومعية الله عز وجل، فمن أحبه الله تعالى، وكان جل وعلا معه بتوفيقه وتأييده،

وهدايته ورحمته، وعونه ونصره، فماذا بقي له من مطالب بعدُ؟ على أن الأجر في الدنيا ليس مقصوراً على المحبة والمعية، بل إن وراء ذلك فضائل وخصالاً، منها أن الصبر سبب النصر على الأعداء، وتحقيقِ الآمال في الحياة، وبلوغِ الأهداف فيها، وسببُ الرفعة والجاه والمكانة العالية بين المؤمنين.

فهذا يوسف عليه السلام يعلل ما وصل إليه من نعيم، وجاه، ومنزلة، بعد رد كيد إخوته، وإحباط مكرهم به يعلل ذلك بالصبر والتقوى كما جاء في قوله تعالى حكاية عنه ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

ويقول ربنا سبحانه، بعد أن يبين لنا، ما يضمره أهل الكتاب لنا من الحقد والبغضاء، وما يريدونه بنا من الشر العظيم، والضر الجسيم، يقول سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

هذا في الدنيا، فأما في الآخرة فإن الله تعالى يضاعف الأجر للصابرين، كما قال سبحانه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٤]. وقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فإذا وُفّي الصابرون أجرهم بغير حساب، فلا ريب أن حسناتهم سوف ترجح على سيئاتهم، ثم يدخلون الجنة، هذا إذا كانت لهم سيئات، وإلا فالصابرون يأتون يوم القيامة بدون سيئات، وذلك بسبب أن ما ينزل بهم في الدنيا من البلاء، يطهرهم من السيئات، كما أنه يزيدهم رفعة في الدرجات. كما جاء في حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ـ أي مرض ـ ولا همّ ولا حزن، ولا أذى، حتى الشوكةُ

يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

فإذا كفرت المصائب ذنوب المؤمن الصابر، جاء يوم القيامة، وليس في صحيفته إلا الحسنات فجوزي بها، ودخل الجنة، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

إن المصيبة إذا نزلت بالمؤمن فصبر عليها، كان له فيها تكفير السيئات، والصلاة من الله تعالى، التي هي رحمة بالعبد، وله من الله تعالى الهداية والتوفيق، كما قال ربنا سبحانه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يُبَلِّغه إياها» رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه. وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود ومعجمي الطبراني الكبير والأوسط شاهد بنحوه ولفظه «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو ماله، أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل».

عباد الله:

إن فضل الله تعالى علينا عظيم، ومنته جسيمة، إذ شرع لنا صيام

شهر رمضان، وجعل هذا الصيام مدرسة نتعلم فيها الصبر، ونتدرب عليه، لنفوز بأجر الصابرين وثوابهم في الدنيا والآخرة. وهل أعظم من خصلة يكون ثوابها الجنة؟ كما قال عليه الصلاة والسلام: «والصبر ثوابه الجنة».

من هنا نفهم سر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» [رواه البخاري ومسلم].

ومما جاء عن رسول الله ﷺ، مؤيِّداً حديث سلمان رضي الله عنه في أن الصبر ثوابه الجنة، ما رواه عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئتِ صبرت ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها» [رواه البخاري ومسلم].

وأخيراً فإن حديث القرآن والسنة عن الصبر، والترغيب فيه، ليس يعني أن الإسلام يحث الناس على السعي لئن تصيبهم الآلام والمصائب، ولا أن الدين يرّغب أتباعه في طلب البلايا والنوازل، لا أيها المؤمنون، إنما السر في ذلك أن الصبر من أهم عناصر الرجولة والبطولة، وهو عماد القوة والكمال، ومن لم يرزق حظاً من الصبر وافراً، لا يعتمد عليه في مشاركة صادقة في تحمل أثقال الحياة، ولا يُرَجّى له دور بارز في بناء حضارة، أو صنع مجّد، أو دفع ظلم وطغيان. كما أن الصبر أساس كل الفضائل والأخلاق الشريفة، وعمدة شعب الإيمان وفروعه كلها. لهذا المعنى مجد الإسلام الصبر، وجعل ثوابه الجنة، ووعد الصابرين بأجر مضاعف يوفونه بغير حساب.

فالإسلام يحبذ المسلم القوي في إرادته وصبره، وفي جسده

وأطرافه، الذي يواجه مفاجآت الحياة ومتاعبها، وتكاليفها ومصائبها، بالصبر والثبات لا بالهلع والجزع، وبالقوة والصمود لا بالخور والعجز والاستسلام. كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد فهذا هو الدرس التاسع من من دروس الإيمان في شهر رمضان. عباد الله: لقد كان من توجيه رسول الله ﷺ للمسلمين في شهر رمضان. ما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، في فضائل هذا الشهر المبارك. من قوله: «وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب، من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن» الحديث.

فشهر رمضان هو شهر المواساة، هذه العبارة الموجزة من رسول الله ﷺ، تنطوي على معاني واسعة، وأخلاق فاضلة، وهي ذات آثار عظيمة في حياة المجتمع المسلم، إذا أخذ المسلمون بها، وفقهوا معناها، ووقفوا على مغزاها، ففي مدرسة رمضان، مدرسة الإيمان والتقوى، حيث يتدرب الصائمون عملياً على الالتزام بشعب الإيمان، وممارسة خصال التقوى. تأتي هذه اللفتة الكريمة، من رسول ﷺ،

لتنبه إلى واحدة من أهم دعائم قوة المجتمع وتآلفه، وتذكر بصفة هي من أقوى أسباب تلاحم المسلمين، وتوادهم، وترابطهم، إنها المؤاساة والمواساة أصلها المؤاساة، فقلبت الهمزة واواً تخفيفاً. يقال آساه بماله مواساة: أي أناله منه، وجعله فيه إسْوة. قال في القاموس: أَوْ لا يكون ذلك إلا من كفاف، فإن كان من فضلة فليس بمواساة. أي لا يسمى التنازل عن المال لأخيك المسلم مواساة، إلا إذا كنت محتاجاً إلى هذا المال، أما إذا تنازلت عن مال فاضل عن حاجتك، فليس ذلك مواساة. قال: والآسي: الطبيب. وأَسَا الجرحَ أَسْواَ وأَسَاً: داواه. وأَسَا بينهم: أصلح.

يتبين لنا مما سبق أن المعنى اللغوي للمواساة، يتضمن مداواة الجراحِ، جراح النفوس، والإصلاحَ بين الناس، بترميم ما انخرم من الروابط بينهم، وما انفصم من عرى الأخوة الإسلامية. كما أن المواساة تتضمن بذل ما يحتاج إليه الإنسان، من مال، أو طعام، أو وقت، أو غير ذلك، وليست المواساة إعطاء ما فضل عن حاجة المعطي.

والرسول عليه الصلاة والسلام بقوله عن شهر رمضان، إنه شهر المواساة، يريد أن يجعل من هذا الشهر المبارك مناسبةً كريمة، يأسو فيها بعض المسلمين جراح بعض، ويرحم فيها المسلمون بعضُهم بعضاً، وصولاً إلى ما أراد الله تعالى لهم، من الأخوة الحقيقية، التي تجعلهم كالجسد الواحد. كما جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [رواه البخاري ومسلم]. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبّك بين أصابعه ﷺ [رواه البخاري ومسلم].

ولقد بيّن رسول الله ﷺ للمسلمين أن دينهم يفرض عليهم، أن يكون مجتمعهُم قوي الترابط، متماسكَ اللبنات، يواسي الغني فيه الفقير، ويساعد القوي فيه الضعيف ويسعى كل مسلم في حاجة إخوانه، فيفرّج كربة المكروب، وينصر المظلوم، ويعود المريض، وينصح المخطىء، وييسر على المعسر، ويعلّم الجاهل، ويرشد الضال، ويشفع لمن لا يستطيعون إبلاغ حاجاتهم إلى ذوي السلطان، والأحاديث في هذه المعاني كثيرة وفيرة، تؤكد كلها عمق الروابط بين أفراد المجتمع المسلم، وقوة التلاحم بين المسلمين، ومن هذه الأحاديث الشريفة، ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله. التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من نفسّ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه». رواه مسلم.

هذا ويضع رسول الله ﷺ ميزاناً به تعرف درجة المسلم في الخير عند الله تعالى، فيقول: « المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف

ولا يؤلف، وخير الناس أنفهم للناس» [رواه الدارقطني في الأفراد، والضياءُ في المختارة عن جابر رضي الله عنه، ورمز السيوطي لصحته] هكذا هو الميزان: «خير الناس أنفعهم للناس».

وفي نفس المعنى روى أبو داود في مراسيله عن أبي قلابة، أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ، قدموا يثنون على صاحب لهم خيراً. قالوا: ما رأينا مثل فلان هذا قط، ما كان في مسير إلا كان في قراءة، ولا نزلنا في منزل إلا كان في صلاة. قال: فمن كان يكفيه ضيعته، حتى ذكر ومن كان يعلف جمله أو دابته؟ قالوا: نحن. قال: فكلكم خير منه».

عباد الله: إن شهر رمضان هو شهر المواساة، أي شهر يحيي فيه المسلمون هذه المعاني فيما بينهم من التواصل، والتراحم، والتعاون، والتناصر، ويجدّدون روابط الإيمان، وأخوةِ الإسلام فيما بينهم، وبذلك تغدو مدرسة الإيمان في رمضان، مدرسةَ المواساة، ومدرسة التراحم، ومدرسة التعاون، ومدرسة التناصر فيما بين المسلمين.

وما أحوج المسلمين في هذا الزمان، إلى مدرسة رمضان، ليجددوا روابط الأخوة، وعلاقات المحبة، فيما بينهم، بعد أن تدابر المسلمون، وتباغضوا، وتحاسدوا، وخذل بعضهم بعضاً، وحقّر بعضهم بعضاً، وأسلم بعضهم بعضاً إلى الأعداء يقتلون الأنفس، وينتهكون الحرمات، ويسلبون الأموال، دون أن يؤدي إخوان العقيدة واجب النصرة والمواساة بل ربما قتل بعض المسلمين بعضاً، وظلم بعضهم بعضاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ما أحوجنا إلى مدرسة المواساة في شهر الصيام، تجدد معالم الإيمان في حياتنا، وتحيي روابط الأخوة في مجتمعاتنا، وتعيد إلى حياتنا، وعلاقاتنا، التراحم والتكافل، والتعاون والتناصر، والتآزر والتزاور وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فهذا هو الدرس العاشر من دروس الإيمان في شهر رمضان

لقد حدثتكم في الدرس الماضي عن قول الرسول ﷺ، في وصف فضائل شهر رمضان، إنه شهر المواساة، وبينت أصل المواساة في اللغة، وحدودها في سنة الرسول ﷺ. وأتابع اليوم الكلام عن المواساة بعون الله، فأقول: قد مثّل لنا رسول الله ﷺ، في حديث سلمان عن فضائل شهر رمضان، بنموذجين من المواساة، ليكونا دليلاً على ما وراءهما، فقال ﷺ في النموذج الأول، من نماذج المواساة: «من فطّر فيه ـ أي في رمضان ـ صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتقَ رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن». وقال في آخر الحديث «من سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة».

وقال ﷺ في نفس الحديث، عن النموذج الثاني، من نماذج المواساة (من خفف عن مملوكه فيه ـ أي في رمضان ـ غفر الله له وأعتقه من النار).

عباد الله: إن لتفطير الصائمين، من الأجر والمثوبة، كما بيّن رسول الله ﷺ، أربعَ خصال: **أولاً**: فيه مغفرة الذنوب، **ثانياً**: العتق من النار، **ثالثاً**: يعطي الله من يفطر الصائم مثل أجر الصائم، من غير أن ينقص أجر الصائم. **ورابعاً**: يسقى من حوض رسول الله ﷺ يوم العطش الأكبر، يوم القيامة، شَرْبة تمنع عنه الظمأ في ذلك اليوم الطويل الرهيب الرعيب، حتى يدخل الجنة.

وهذه الخصال الأربع من أعظم ما يرغب فيه المسلم، ويرجوه المؤمن، وهي أجر عظيم، وثواب جزيل على عمل لا يكلف المسلم شيئاً ذا بال، فما الكلفة في أن يفطر المسلم أخاه ولو على تمرة، أو شربَة ماء، أو مذقة لبن؟ فلماذا كان هذا الأجر العظيم على هذا العمل اليسير؟

إن الله تعالى يجزي المسلم بأجر كبير ويدخله الجنة، على العمل الصالح إذا كان الأثر المترتب على هذا العمل كبيراً، ولو كان العمل في حد ذاته يسيراً. لكنه باعتبار ما يترتب عليه من الآثار الخطيرة، والنتائج الكبيرة، يعظم أجره وثوابه.

وفي تفطير الصائمين إشاعة لجو المودة والمحبة بين المؤمنين، وتقوية لروابط الأخوة، وقضاء على أسباب التباعد والتهاجر، والتقاطع والتدابر، فليست العبرة بما يأكله الصائم في بيتك عند الإفطار، إنما العبرة بالأثر الطيب في نفسه، الذي يتركه تفطيره في بيتك، وبالشعور الكريم، والدافع النبيل، الذي يدفعك إلى دعوة إخوانك المسلمين، ليفطروا في بيتك لتقوم على خدمتهم، وتُدخل السرور إلى قلوبهم، وتُشعرهم بحبك إياهم، وارتباطك بهم بحبل أخوة الإيمان.

ومما يشهد لقولي إن عظيم الأجر على تفطير الصائم كان باعتبار الأثر المترتب عليه، لا باعتبار الكلفة والمشقة فيه، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر

طريق، فقال: والله لأُنَحّينّ هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم، فأدخل الجنة» [رواه مسلم]. وفي رواية «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له» [رواه البخاري ومسلم].

ويؤيده أيضاً ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبُ من العطش، مثلَ الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له». [رواه البخاري ومسلم. وفي رواية البخاري: «فشكر الله له، فغفر له، فأدخله الجنة»].

ففي كل من الحديثين السابقين عمل يسير كان سبباً في دخول صاحبه الجنة وذلك بسبب الأثر العظيم المترتب على كل منهما، حيث إن العمل الأول دفع الأذى عن عموم المسلمين المستفيدين من ذلك الطريق، والعمل الثاني دفع الموت عن مخلوق من مخلوقات الله تعالى.

وهكذا نرى أن تفطير الصائمين باب عظيم من أبواب الخير في شهر الخير والبركات، فاستكثروا من تفطير الصائمين، وليكن الدافع إلى ذلك، الرغبة في رضوان الله تعالى، ومغفرة الذنوب، والعتقِ من النار، لا الرغبةَ في الجاه بين الناس، واصطناع اليد عند الوجهاء، والكبراء والأغنياء وآية الإخلاص في ذلك، أن تدعو الفقراء والمساكين، والضعفاء والمحرومين، لتفطرهم في شهر رمضان، فتواسيهم ببعض ما آتاك الله من فضله، وتُدخلَ السرور والحبور على نفوسهم وقلوبهم، وتغرسَ محبتك ومحبة الإسلام الذي يدعوك إلى هذا الخلق الجميل في قلوبهم وأفئدتهم.

هذا، وإن للصائم عند فطره دعوة ما ترد، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنكَ ولو بعد حين». رواه الإمام أحمد في حديث، والترمذي وحسنه، واللفظ له.

فإذا دعا المسلم إخوانه الصائمين إلى الإفطار في بيته، ورفعوا عند إفطارهم أكف الدعاء إلى ربهم، يسألونه، أن يشفي مريض أخيهم، أو يردَّ غائبه، أو يفرج كربه أو يكبتَ عدوه، أو يُربحَ تجارته، أو أن يرزقه ذرية صالحة، أو غيرَ ذلك مما يحب الإنسان ويرغب فيه، كانت دعواتهم يرجى لها الإجابة بفضل الله تعالى وكرمه.

غير أن أولى ما تلهج الألسنة به من الدعاء عند الإفطار، هو مغفرة الذنوب، والعتقُ من النار، لأن الدنيا جميعها بكل ما فيها، لا توازي مغفرة الذنوب، ولا تعدل العتق من النار، ولأن لله تعالى في كل يوم من رمضان، عند الفطر عتقاءَ من النار، كما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لله عز وجل عند كل فطر عتقاء» [رواه الإمام أحمد بإسناد لا بأس به، والطبراني، والبيهقي].

وله شاهد من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أولُ ليلة من شهر رمضان، فُتّحت أبواب الجنان، فلم يغلق منها باب واحد الشهرَ كله، وغُلّقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب الشهر كله، وغُلّتْ عتاة الجن، ونادى منادٍ من السماء كل ليلة إلى انفجار الصبح: يا باغيَ الخير يمّم وأبشر، ويا باغي الشر أَقصر وأَبصر، هل من مستغفر يغفرُ له، هل من تائب يتوب الله عليه، هل من داع يستجاب له، هل من سائل يعطى سؤله،

ولله عز وجل عند كل فطر من شهر رمضان، كلَّ ليلة عتقاء من النار ستون ألفاً، فإذا كان يوم الفطر أعتق الله مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة، ستين ألفاً، ستين ألفاً». [رواه البيهقي. قال المنذري: وهو حديث حسن لا بأس به في المتابعات].

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وتقبل في هذا الشهر الكريم صيامنا وقيامنا، وأعتق من النار رقابنا، برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد فهذا هو الدرس الحادي عشر من درس الإيمان في شهر رمضان.

حدثتكم في الدرس الماضي عن النموذج الأول للمواساة في شهر رمضان واليوم أحدثكم بعون الله تعالى عن النموذج الثاني للمواساة الذي ذكره رسول الله ﷺ في حديث سلمان في فضائل شهر الصيام بقوله ﷺ: «من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه من النار».

بادىء ذي بدء أقول: إذا كان اليوم لا يوجد رقيق، فإن المسلم يحصّل هذا الباب من أبواب الخير في المواساة في شهر رمضان، بتخفيف الأعباء عن الموظفين، والأجراء، والمستخدمين ليساعدهم على الصيام، وليفرُغوا لعبادة الله تعالى، وتلاوة القرآنِ، وحضور مجالس العلم والذكر. والمشاركة في قيام رمضان، وغير ذلك من أبواب الخير في شهر الصيام. والتخفيفُ عن المستخدمين يكون بتقليل ساعات العمل في شهر رمضان، ويكون أيضاً بتخفيف الواجبات الوظيفية، والإعفاء من بعض الأعباء، والتكاليف في شهر رمضان خاصة. وفي ذلك مواساة وأي مواساة لهؤلاء الموظفين والمستخدمين، فإذا وُفّق المسلم إلى أن يُضيف إلى ذلك، زيادةَ الأجر في شهر

رمضان لموظفيه، كان ذلك مواساة إلى مواساة، يعظم بها الأجر، وتتأكد بها الأهلية لمغفرة الذنوب، والعتق من النار.

وعلى رأس المواساة وقمتها، الإحسان في معاملة هؤلاء المستخدمين، وإشعارُهم بالاحترام والإكرام، وعدم التعالي عليهم، وعدم إيذائهم بالكلمة القاسية، واللفظ النابية، والنظرة الجافية، فإن المسلمين جميعاً إخوة: سيّدُهم ومسودهم، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، شريفهم ووضيعهم، وهذا شهر المواساة، فينبغي الحرص على حسن الخلق مع الخدم، والعمال، والأجراء، وسائر المستخدمين.

وليس القصد حسنَ المعاملة معهم في رمضان، وإساءَتها بعد رمضان، إنما المقصود بالتأكيد على حسن المعاملة، والمواساة في رمضان، أن يعتاد المسلم على هذا الخلق الفاضل، فيستمرَّ بعد رمضان على ما تدرب عليه في رمضان من المواساة، وبذلك يكون قد حقق الفوز والنجاح في مدرسة الإيمان في رمضان، واكتسب الفلاح في دورة التقوى في هذا الشهر المبارك الكريم.

إن الإسلام يدعو إلى الرحمة بالمستضعفين، والإحسان في معاملة المستخدمين حتى وإن كانوا عبيداً أرقاء، فهم إخوة لأسيادهم ما داموا مسلمين، كما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله قِنْيةً تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفْه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه» [رواه البخاري ومسلم، والإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. وقوله خولكم: أي خدمكم العبيد الأرقاء].

قال ابن جماعة: يدخل في الخَوَل الرقيق، والخادم الحر، أي المستخدم بأجر وراتب معلوم كما هو الحال في زماننا. فينبغي أن نحسن معاملة الخدم، وسائر المستخدمين، ونطعِمَهم من طعامنا،

ونُلبسَهم من لباسنا، ولا نكَلفهم الأعمال الشاقة، فإن اضطررنا إلى ذلك ينبغي أن نساعدهم.

ولا ينبغي للمسلم أن يجاوز الحد في عقوبة من ولاه الله أمره، ولا أن يغريه ضعف المستخدم بظلمه، والاعتداء عليه، فإن الله عز وجل أقدر على أحدنا منا على هؤلاء الضعفاء كما جاء عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من شدة الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً.

وفي رواية: فسقط السوط من يدي من هيبته.

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله تعالى. فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار» [رواه مسلم بهذه الروايات].

والمواساة في شهر رمضان، ليست مقصورة على تفطير الصائمين، والتخفيف عن المستخدمين، إنما هما مثلان ضربهما رسول الله ﷺ، يُعرف بهما ما وراءهما من أنواع المواساة ونماذجها.

ومن المواساة المطلوبة كذلك، الإحسان إلى الأيتام، والسعيُ على الأرامل والمساكين، والإحسان إلى الجيران، وصلة الأرحام، وفي مقدمة ذلك بر الوالدين. قال الله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

وعنه سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا

وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما» [رواه البخاري وأبو داود والترمذي] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن نبي الله ﷺ، قال: «من قبض يتيماً من بين مُسْلِمَيْن إلى طعامه وشرابه، أدخله الله الجنة ألبتة، إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر» [رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح].

ومما جاء في مواساة الجيران، ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع» [رواه الطبراني وأبو يعلى ورواته ثقات. ورواه الحاكم من حديث عائشة].

ومما جاء في مواساة الجيران كذلك، ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم» [رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن].

ففي هذين الحديثين، يعتبر رسول الله ﷺ مواساة الجيران، والإحسان إليهم، وتفقد حاجتهم، وإشباع جوعتهم، وسدَّ خلتهم من لوازم الإيمان ومقتضياته. ذلك أن الإسلام حريص على ترابط المجتمع المسلم وتلاحمه، وتماسكه وتراحمه من هنا فقد جاء هذا الترغيب في المواساة، وخاصة في شهر الصيام، ليعتاد المسلم هذا الخلق النبيل، والسلوك القويم، فيستَّمر بعد رمضان.

أسأل الله تعالى لي ولكم الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث ورحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد فهذا هو الدرس الثاني عشر من دروس الإيمان في شهر رمضان. عباد الله:

مازلنا مع قول رسول الله ﷺ في حديث سلمان، وهو يصف فضائل شهر رمضان قال: «وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة». ذلك أن المواساة من الأهمية بمكان في هذا الدين لأن الإسلام حرص على إقامة مجتمع قوي مترابط، محكم البناء، متماسك اللبنات، سداه الأخوة والمحبة، ولحمته الإحسان والتكافل والتراحم، شعاره «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، ودثاره ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾، مثله كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

وفي سبيل الوصول إلى هذا المجتمع السامي النبيل، سلك الإسلام إلى نفوس الناس طرائق شتى. واتخذ إلى قلوبهم وعواطفهم سبلاً متنوعة، من التشريعات الواجبة، والتوجيهات المؤكدة، والإرشادات المستحبة، وحفز الناس من خلال ذلك كله، إلى الرقي بأخلاقهم وسلوكهم، إلى أقصى سمو يستطيعونه، من حسن العمل وكمال الخلق.

ومن هنا نعلم قيمة المواساة، ومنزلتها بين وسائل الإسلام، لبلوغ هدفه النبيل في إقامة المجتمع الفاضل المتراحم، المتعاون على البر والتقوى.

ومن المجالات المهمة للمواساة صلة الأرحام، والإحسان إلى ذوي القربى، فينبغي تقوية الأواصر مع الأرحام والأقرباء في شهر المواساة، وذلك بالزيارة المتواصلة، والتفقد المستمر، وبذل المعونة والندى، وإسداء النصح والمشورة، وطلاقة الوجه، وطيب الكلام، والمشاركة في الأفراح والأتراح.

ونظراً لخطورة الانعكاسات المترتبة على طبيعة العلاقة بين الأرحام، حيث إن أفراد المجتمع كلّهم أرحام، فمعنى قوة العلاقة بين الأرحام والأقرباء، قوتُها بين أفراد المجتمع، والعكس بالعكس. أقول: نظراً لخطورة الانعكاسات هذه على المجتمع، فقد ربط رسول الله ﷺ بين الإيمان وبين صلة الرحم، فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه].

ولصلة الأرحام ومواساة الأقرباء، عواقب حميدة في الدنيا، وأجر عظيم في الآخرة، فأما في الدنيا فإن مواساة الأرحام والأقرباء، سبب لتكيثر الأموال والذرية كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعمرّ بالقوم الديار، ويثمرّ لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم، بغضاً لهم، قيل، وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: لصلتهم أرحامهم» رواه الطبراني بإسناد حسن والحاكم.

ليس هذا فحسب، بل إن البركة لتتعدىٰ الأموال والأولاد إلى العمر، فيؤخر أجل من يصل رحمه، ويواسي أقرباءه، كما جاء عن

أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنْسأَ له في أثره فليصل رحمه» [رواه البخاري ومسلم].

هذا في الدنيا، فأما في الآخرة فإن صلة الرحم، ومواساة ذوي القربى، طريق إلى الجنة موصلة، كما جاء عن أبي أيوب رضي الله عنه، «أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال يا رسول الله أو يا محمد: أخبرني بما يقربني من الجنة، ويباعدني من النار، قال: فكفّ النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: لقد وفّق، أو لقد هدي. قال: كيف قلت؟ قال: فأعادها. قال النبي ﷺ: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم» [رواه البخاري ومسلم].

وإذا كان لصلة الرحم كل هذا الأجر في الدنيا وفي الآخرة، فلا ريب أن لقاطع الرحم عقوبةً تعدل في شدتها عظيمَ جرمه، لما يترتب على قطع الأرحام، من تقطيع الأواصر في المجتمع المسلم، وتفكيك لعراه، وخلخلةٍ لبنيانه، وانفراطٍ لعقده. ومن هنا فقد حذر الله تعالى في كتابه من قطع الأرحام فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وبيّن لنا رسولنا عليه الصلاة والسلام، أن عقوبة قاطع الرحم معجلةٌ في الدنيا، كما جاء عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدرُ أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يُدخر له في الآخرة: من البغي، وقطيعة الرحم». [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد].

وتتمثل العقوبة العاجلة في رد الأعمال الصالحة، وعدم قبولها، وفي ذلك خسارة فادحة وأي خسارة، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أعمال بني آدم

تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم» [رواه الإمام أحمد ورواته ثقات].

ثم تتمثل العقوبة العاجلة بعد ذلك في الطرد من رحمة الله تعالى، إذا أصر على قطع رحمه.

كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما تَرْضِين أن أصل من وصلك، وأقطعَ من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لكِ. ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣] رواه البخاري ومسلم.

وأما العقوبة الأخروية، فإنها الحرمان من الجنة، كما جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع»، قال سفيان: يعني قاطع رحم. [رواه البخاري ومسلم والترمذي].

حتى لو كان الأرحام لا يبادلون المسلم صلةً بصلة، وإن كانوا يعاوضونه عن الصلة بالقطيعة، وعن الإحسان بالإساءة، فإن المسلم المتخرج من مدرسة الإيمان في رمضان، والذي تدرب في دورة التقوى في شهر الصيام على المواساة، ينبغي أن يستمر في صلة أرحامه، ومواساة ذوي قرباه، لأنه يقوم بأمر أوجبه الله تعالى عليه، يطلب به الأجر والمثوبة من ربه، لا المكافأة من أرحامه وذوي قرباه، وفي هذا المعنى جاء حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الواصل بالمكافىء، ولكنَّ الواصل الذي إذا قطعتْ رحمه وصلَها». رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك، [رواه مسلم].

ومعنى تسفهم المل: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ولا شيء على هذا المحسن إليهم لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فهذا هو الدرس الثالث عشر من دورس الإيمان في شهر رمضان.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجودُ بالخير من الريح المرسلة».

لم يكن أحد أكرم من رسول الله ﷺ، ولا أحدَ أجودُ منه عليه الصلاة والسلام ومن جوده وكرمه عليه الصلاة والسلام، ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر». الحديث [رواه مسلم] وأخرج البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ، أعطى يوم حنين الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك. وعلى الرغم من هذا الجود العظيم، والكرم الواسع، فقد كان رسول الله ﷺ في رمضان أكثر جوداً، وأوسع كرماً.

ذلك لأن شهر رمضان شهر عبادة، وتقرب إلى الله تعالى، وشهر تضاعف فيه الحسنات كما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه، في فضائل شهر رمضان، أن رسول الله ﷺ قال: «من تقرب فيه ـ أي في رمضان ـ بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»، فذلك أدعى إلى الازدياد من فعل الخير في هذا الشهر وأيضاً لأن الله تعالى يجود على عباده في شهر رمضان بالمغفرة، والعتق من النار، فكأن جود العبد وكرمه في رمضان، فيه تعرضٌ لجود الله تعالى وكرمه، لأن الجزاء من جنس العمل، كما جاء في حديث أسامة بن زيد، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» [رواه البخاري ومسلم].

وأما ثالثاً: فإن في الإنفاق في رمضان إعانةً للصائمين على طاعة الله تعالى، وعلى صيامهم وعبادتهم، ومن أعان مسلماً على عبادةٍ كان شريكه في الأجر، كما جاء في حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا» [رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي].

ودعوة الإسلام إلى الانفاق في سبيل الله تعالى. دعوة قوية متكررة، مؤكدة، ولكنها في رمضان أكثر تأكيداً للمعاني التي أسلفتها، ولأن رمضان مدرسة الخير والإيمان، ودورة التقوى والإحسان، ليعتاد المسلم على الإنفاق في سبيل الله تعالى، فيستمرَّ بعد رمضان على ما اعتاده في رمضان من الخير والجود، والإنفاق والصدقة وما اعتاده كثير من أغنياء المسلمين من تخصيص زكاة أموالهم بشهر رمضان، هو عادة حسنة، لأن أعمال الخير تضاعف في شهر رمضان. غير أن مما ينبغي التنبه له، أن المسلم ينبغي أن يحتسب زكاة ماله بدقة، على الوجه الذي أمر الله تعالى به، فيخرج زكاة ماله بالغةً ما بلغت، لا يبخل

بشيء منها أبداً، لأن الزكاة حق معلوم أوجبه الله في أموال الأغنياء، فإذا لم يخرج المسلم زكاة أمواله كاملةً، عرّض نفسه لعقاب الله تعالى، وعرّض أمواله للجوائح والمصائب. كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة٣٤ ـ ٣٥] وقال جل وعلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

إن المال نعمة من الله تعالى، والله عز وجل الذي وهب المال، فرض على العباد أن يخرجوا جزءاً صغيراً منه، زكاةً وطهرة لأنفسهم من الشح والبخل، وطهرةً ونماءً وبكرة وتحصيناً لأموالهم، فإذا أبوا أن يخرجوا الزكاة الواجبة، عاقبهم الله تعالى فسلبهم نعمة المال، كما قص علينا ربنا سبحانه في كتابه الكريم قصة أصحاب البستان، الذين تآمروا أن لا يعطوا الفقراء من بستانهم ما فرض الله تعالى لهم فكانت النتيجة أن حرموا نعمة الله، وسلبوا ثمار بستانهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٣٣].

هذه عاقبة الذين يبخلون بما فرض الله عليهم من الزكاة، فيأبون

أن يطهروا بها أنفسهم من الشح، ويحصنوا بها أموالهم من الجوائح، كما جاء عن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع» [رواه أبو داود في المراسيل، ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهم عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلاً، قال المنذري: والمرسل أشبه].

وفي الآخرة يعذب مانع الزكاة بماله، الذي بخل به في الدنيا، فلم يؤد حق الله منه، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفايح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر، أوفر ما كانت، ولا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مرّ عليه أولاها، رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يفقد منها شيئاً ليس منها عقصاء ولا جلحاء، ولا عضباء، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما مرّ عليه أولها، رد عليه آخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»، [رواه البخاري ومسلم].

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فهذا هو الدرس الرابع عشر من دروس الإيمان في شهر رمضان. وقد تحدثنا في الدرس الماضي عن الزكاة ومازال الحديث موصولاً عن الزكاة في شهر رمضان، شهر البر والإحسان، الذي كان رسول الله ﷺ فيه أجودَ من الريح المرسلة. وبعد الحديث عن فضل إخراج الزكاة في رمضان، وعن عاقبة الذين يبخلون بما آتاهم الله تعالى من فضله فلا يخرجون حق الله من أموالهم. أتابع اليوم الحديث بعون الله تعالى فأقول:

تجب الزكاة في الأموال النقدية، من أي عملة كانت وفي الذهب والفضة، بمقدار اثنين ونصف من كل مائة كما تجب الزكاة في عروض التجارة، أي في البضائع والسلع المعدة للتجارة، حيث يقوّمها صاحبها عند تمام الحول، ويؤدي عنها الزكاة، بمقدار اثنين ونصف من كل مائة، ومن عروض التجارة جميع البضائع والسلع التي يراد بيعها مهما اختلفت وتنوعت، ويدخل في عروض التجارة كذلك، أسهم الشركات، إذا كان الإنسان اشتراها بقصد أن يربح بها فيبيعها عندما يرتفع ثمنها، وكذلك الأراضي السكنية والزراعية إذا اشتريت بقصد الربح والتجارة وكذلك العمارات المعدة للبيع، أما العمارات

المعدة للإيجار، فلا زكاة فيها، إنما الزكاة: في الإيجار الوارد منها بعد أن يحول عليه الحول، وكذلك لا زكاة في الأراضي الزراعية، والأراضي السكنية إذا لم تكن معدة للبيع، بأن كانت معدة للزراعة أو السكنى أو غير ذلك.

ويكثر السؤال عن الزكاة في حلي النساء، فأقول: فيه خلاف الفقهاء، لكن الجمهور على أن حلي النساء المعدَّ للاستعمال المباح لا زكاة فيه، وأما الديون، فإن المسلم عند تمام الحول ـ وهو سنة قمرية، لا شمسية ـ يحتسب أمواله ورصيده، ويضيف إليه الديون التي له على عملائه، إلا أن تكون ميّتة، ويحسم من رصيده ما عليه من الديون، ثم يحتسب الزكاة عن صافي رصيده من المال.

وأما زكاة الأنعام، والزروع، والثمار، فلها تفصيل يطلب في مظانه من كتب الفقه، والزكاة حدّد الله تعالى لها ثمانية مصارف، لا تزيد عليها، فقال جل وعلا: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠] وإنما تفيد الحصر فينبغي صرف الزكاة إلى هذه الأصناف الثمانية، أو بعضها، دون غيرها، على أن لا يكون من هؤلاء المدفوعُ إليهم أصولٌ للمزكي، نحوُ أبويه وجديه، ولا فروعٌ، نحو أولادِه وأولادِهم.

وينبغي للمسلم أن يهتم بأن تقع زكاته في موقعها، وتصلَ إلى مستحقها، لتبرأ ذمته، من ناحية، وليكون أعظم لأجره من ناحية أخرى.

فمثلاً طالب العلم الشرعي، المتفرغُ لطلب العلم، الصدقة عليه أفضل، وأكثر أجراً من الصدقة على غيره، والرجل الصالح، العفيف، ذو العيال، الذي لا يكفيه دخله، ولا يطلب من الناس الصدقة، ولا يفطن له فيتصدق عليه، الصدقة عليه أفضل من غيره.

ويعظم أجر الصدقة بمقدار عظيم أثرها، وزيادة نفعها فالصدقة التي تنقذ مُشْرفاً على الهلاك، أو التي تستر عرضاً وتصونه، أو تداوي مريضاً، يعظم أجرها، كما جاء في صحيح السنة أن الذي سقى كلباً، فأنقذه من الهلاك، غفر الله له، وأدخله الجنة.

وبعض المسلمين، ينفق زكاة ماله، في وجوه من البر والخير، ليست من مصارف الزكاة، ولا تبرأ ذمته بذلك، لأن للزكاة كما أسلفت مصارف محددة، لا تزيد أبداً. ومن أمثلة وجوه البر هذه، التي لا تعتبر من مصارف الزكاة، أن يشتري الغني كتباً ويوزعَها على الناس، غنيهم وفقيرهم، أو يعطي موظفيه في شهر رمضان راتباً إضافياً، ويحتسبه من الزكاة، وهو يعلم أن موظفي مؤسسته فيهم الغني الذي لا تحل له الزكاة، وغيرُ المسلم الذي لا حظ له في الزكاة، أو يصرف زكاته إلى بناء المساجد مثلاً.

وهذه الوجوه، وإن كانت من وجوه البر والإحسان، إلا أنها ليست من مصارف الزكاة، وأنا لا أقول لا تنفقوا على بناء المساجد، بل أنفقوا عليها، فإنها من أعظم وجوه البر والإحسان، إنما من غير الزكاة.

والمسلم الموفق الحريص على الفوز برضوان الله تعالى والجنة ينبغي أن لا يقف عند حدود الزكاة الواجبة، بل يحسن به أن يزيد في الإنفاق في سبيل الله تعالى، دون خوف من الفقر أو الإملاق، لأن الله تعالى وعد بإخلاف الصدقة على صاحبها في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى أي في الحديث القدسي: «أنفق يا ابن آدم يُنْفَق عليك» [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل» [رواه مسلم].

فالصدقة لا تَنْقُص المالَ لأن الله تعالى يردها على صاحبها في الدنيا، ثم إن ما ينبغي التنبه له أن الشيطان يجتهد في أن يمنع المسلمَ من الصدقة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لأنه عدو الإنسان اللدود كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] فالشيطان يخوّف المتصدق من الفقر، ويأمره بالبخل والشح كما قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨] قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ أي يخوفكم الفقر، لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾ أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق، خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء، (وفضلا) أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر، اهـ كلامه.

إن وعد الله تعالى يتضمن إخلاف المال على المتصدق، ومضاعفة الأجر في الآخرة، ووعد الشيطان يتضمن التخويف من الفقر، والامتناع عن الصدقة، فمن نصدّق يا تُرى؟ أما وعد الله تعالى فإنه حق وصدق، والله جل وعلا لا يخلف الميعاد.

وأما وعد الشيطان فكما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطاناً) [رواه الإمام أحمد، والبزار، والطبراني، وابن خزيمة في صحيحه] أسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم للإنفاق في سبيله في هذا الشهر الكريم، وأن يعيننا على التغلب على وسوسة الشيطان، وأن يعيذنا من البخل والشح إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فهذا هو الدرس الخامس عشر من دروس الإيمان في شهر رمضان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه].

عباد الله: في مدرسة رمضان، يتعلم الصائم اجتناب الكذب، والبعدَ عنه، ويتدرب في دورة التقوى على الصدق، وقول الحق، والصائمون في نهاية الشهر، إما نجحوا في اجتناب الكذب والبعد عنه، فقد نجحوا في صيامهم، وإما فشلوا في البعد عن الكذب ومجافاته، فقد رُدَّ عليهم صيامهم، كما دل عليه الحديث السابق.

ذلك أن الكذب آفة، إذا استشرت في مجتمع قوضت أركانه، وبدلت اطمئنان أفراده قلقاً، وسعادتهم شقاء، واستقرارهم اضطراباً، لأن الحياة في مجتمع يمارس أفراده الكذب، حياة تعيسة نكدة، بسبب انعدام الثقة فيما بينهم. ولأن الإنسان يومها لا يطمئن في تعامله مع جيرانه وأصدقائه، ولا مع زملائه ورؤسائه، ولا مع عماله ومستخدميه، بسبب عدم وثوقه في أقوالهم، وعدم تصديقه أخبارهم، فهل يمكن

للإنسان أن يحيا في مثل هذا المجتمع حياة منتجة مثمرة؟ بله أن تكون سعيدة هانئة؟

لذلك نجد القرآن الكريم، يعلنها صريحة واضحة، أن الكذب يصدر عن الكافرين فقط، لأنه ليس من أخلاق المؤمنين، فيقول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥].

ويؤكد رسول الله ﷺ هذا المعنى، فيما رواه سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، أنه عليه الصلاة والسلام قال: «يطبع المؤمن على كل خَلة غير الخيانة والكذب» [رواه البزار، وأبو يعلى، ورواته رواة الصحيح]. وعن صفوان بن سليم قال: «قيل: يا رسول الله أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم. قيل له: أيكون بخيلاً؟ قال: نعم. قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا». [رواه مالك هكذا مرسلاً].

إن الكذب ليس من صفات المؤمن، ولا هو من خلال المسلم، إنما هو صفة الكافرين كما بيّن ربنا جل وعلا، وصفة المنافقين كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» [رواه البخاري ومسلم].

من هنا فقد كان الكذب أبغض الأخلاق إلى رسول الله ﷺ، وكان الكذابون أبعد الناس عنه، لشدة نفوره من الكذب، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما كان من خلق أبغضَ إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ما اطلع عن أحد من ذاك بشيء، فيُخرجَ من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة». [رواه أحمد، والبزار، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد].

ولا ريب أن الكذابين يستحقون العقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة، بما يتناسب مع فداحة الأخطار المترتبة على الكذب، فأما عقوبتهم في الدنيا، فهي حرمانهم من هداية الله تعالى وتوفيقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

وإذا خسر الإنسان هداية ربه وتوفيقَه، فمن يهديه من بعد الله؟ لا ريب أنه سيبقى متخبطاً في دياجير الضلال، وظلمات الغَواية، حتى يؤوبَ إلى ربه يوم القيامة، فيلقى الجزاء الأخروي للكذب، حيث يورده كذبه النار، والعياذ بالله تعالى، كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً» [رواه البخاري ومسلم].

ومن الكذب شهادة الزور، حيث إنها من أكبر الكبائر التي حذرنا منها ربنا سبحانه بقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. فقرن شهادة الزور بالشرك بالله عز وجل، ويبيّن رسولنا ﷺ، أن شهادة الزور من أكبر الكبائر، وأعظمها إثماً، كما جاء عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً. قلنا: بلى. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس. وكان متكئاً فجلس، وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» [رواه البخاري ومسلم]. وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي: «شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يوجب الله لهما النار».

وحيث إننا في هذا الشهر الكريم دخلنا في مدرسة الصوم، وشاركنا في دورة التقوى والإيمان، فينبغي أن نلتزم الصدق في أقوالنا،

وأن نكف ألسنتنا عن الكذب، كلِّه قليله وكثيره، حتى يسلم لنا صيامنا من ناحية، ولنعتاد خلق الصدق بعد رمضان بإذن الله تعالى.

وينبغي الحذر كذلك من أنواع من الكذب، يتساهل فيها بعض الناس، غافلين عما فيها من الخطر الجسيم، والإثم العظيم، ومن ذلك الكذب في المزاح، فإنه قد جاء الوعيد المؤكد لمن يكذب ليضحك جلساءه. كما روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له» [رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي والبيهقي].

ومن الكذب أن يدعى الإنسان إلى الطعام، فيزعَم أنه لا يشتهيه، كما جاء عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، قالت: فقلت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذباً؟ قال: إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة». [رواه الإمام أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي].

ومن الكذب كذلك ما رواه عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمراً. فقال لها رسول الله: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كَذْبة». [رواه أبو داود، والبيهقي، وابن أبي الدنيا].

أسأل الله تعالى، أن يخلّقني وإياكم بأخلاق الصيام، وأن يرزقنا جميعاً في هذا الشهر الكريم، قبول الصيام، ومغفرة الذنوب، والعتق من النار، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فهذا هو الدرس السادس عشر من دروس الإيمان في شهر رمضان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا» [رواه الطبراني في الأوسط، ورواته ثقات].

مدرسة رمضان فيها خير كثير، ونفع عميم، ليس في باب الإيمان والتقوى فقط، وإنما في صحة الجسم كذلك، حيث إن صيام شهر رمضان يعطي الجسم فرصة لتنظيم الهضم، فيتاح للجهاز الهضمي الراحةُ، والاستجمام، والتخلصُ من فضلات الطعام، كما أن في صيام رمضان فرصةً لتخلص الجسم من الدهن والشحم الزائد، وإزالة البدانة، وتقليل نسبة الكوليسترول والدهون في الدم، أضف إلى ذلك أن الصيام في شهر رمضان، يتيح المجال لشفاء عدد من الأمراض الجلدية الالتهابية، مثل الأكزيما وغيرها. وذلك لأن الصيام يقلل نسبة الماء والأملاح في الجلد، مما يحول دون النمو المضطرد للبكتيريا. والبحوث الطبية الحديثة، أكدت الفوائد الصحية العديدة لجسم الإنسان في الصيام. وكل ذلك تصديق لقول الرسول ﷺ: «وصوموا تصحوا».

غير أن مما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين، جعلوا رمضان

شهر الإفراط في الطعام والشراب، فهم يُعدّون موائد الإفطار الغنية بكل العناصر الغذائية، وخاصة الدهون والنشويات ويسرفون فيما بين وجبتي الإفطار والسحور في تناول المكسَّرات والمشروبات والحلويات، بما تحتويه من الدهون والنشويات والكوليسترول، وإذا أضفت إلى ذلك الجلوسَ لساعات أمام الرائي، وما يَنْتُج عن ذلك من قلة الحركة، والسهرِ حتى ساعة متأخرة من الليل، فتكون النتيجة لكل ذلك، حصولَ الاضطرابات المعوية والمعدية، وزيادةَ الوزن والترهلَ، وينقلب شهر رمضان من شهر صحة واستجمام إلى فترة يصاب فيها الإنسان بعديد من الأمراض. وذلك بسبب المخالفة لتعاليم القرآن العظيم، ونصائح وإرشاد الرسول الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وعن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكَلَاتٌ يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وقال: هو صحيح، وقال ابن حجر في الفتح: حديث حسن.

والإسلام لا ينهى عن الإسراف في الطعام والشراب فقط، إنما ينهى عن الإسراف والتقتير في كل شيء، لأن كلاً من الإسراف والتقتير أثر من عدم توازن شخصية الإنسان، والإسلام يحب من المسلمين أن يكونوا معتدلين في سلوكهم وأخلاقهم، بغض النظر عن غنى المسلم أو فقره، فالإسراف منهي عنه مهما كان المسلم غنياً، كما قال الله تعالى في وصف عباده الذين يحبهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

ويعتقد بعض الناس خطأ، أن الذي يحكم إنفاق الإنسان

واستهلاكه في حياته عاملان: وفرةُ السلع، والقدرةُ على شرائها. وهذا الفهم خاطىء، لأنه مخالف لتوجيه القرآن الكريم في نهيه عن الإسراف مطلقاً، دون تقييد ذلك بالفقر، أو ضعف القدرة على الشراء. كما أنه مخالف لإرشاد رسول الله ﷺ، فيما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن القصد في الفقر» [رواه البزار بإسناد حسن].

والإسراف مذموم، وإن كان في شيء يسير، لأن الإسلام لم ينظر إلى الجانب الاقتصادي فقط، وإنما نظر إلى المعنى الإيماني والخلقي أيضاً، بل يمكن أن نقول: إن الإسلام قدم الاعتبار الإيماني والخلقي في النهي عن الإسراف على المعنى الاقتصادي، ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه، وأبو يعلى، والبيهقي: أن رسول الله ﷺ، مرّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ فقال: أو في الوضوء سرف؟ فقال: نعم، وإن كنت على نهر جار».

فالإسراف في استعمال الماء للوضوء مذموم، ولو كان من ماء النهر، مع أن المعنى الاقتصادي غير مراد هنا قطعاً خاصة إذا نظرنا إلى القضية على المستوى الفردي، إن الإسلام يريد الاعتدال من المسلمين، والتوازنَ في تصرفاتهم، قبل أن يهدف إلى التوفير في الإنفاق، ولذلك نرى الإسلام ينهى عن البخل والتقتير كما ينهى عن السرف والتبذير، لأنه كما قيل: كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ.

إن المال نعمة من الله تعالى، يجب أن تشكر، ومن شكرها التزام القصد والاعتدال في الإنفاق على الحوائج والملذات، والجزء الآخر المكمل لشكرها هو الإنفاق في وجوه البر والإحسان. فأما الإنفاق في سبيل الله تعالى، فإنه ليس له حدود، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» [رواه البخاري ومسلم].

وكما جاء عن عائشة رضي الله عنها، أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها. أي تصدقوا بها كلها، ولم يتركوا لأنفسهم إلا كتفها. قال النبي ﷺ: «بقي كلها غير كتفها» [رواه الترمذي وقال: حديث صحيح].

وذلك لأن المال الذي يتصدق به المسلم، هو ماله الذي يدخر إلى يوم القيامة، فينتفع بثوابه، وأما الذي ينفقه على شهواته وملذاته، فهو مال هالك، ثم يحاسب عنه يوم القيامة وأما الإنفاق على الحاجات والملذات فإن مما يلقي الضوء على حدود الاعتدال في الانفاق الاستهلاكي، ما رواه مالك عن يحيى بن سعيد، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أدرك جابر بن عبد الله وبيده درهم، فقال: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لأهلي لحماً قرِموا إليه - أي اشتاقوا إليه - فقال: أكلَّ ما اشتهيتهم اشتريتم؟ ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لابن عمه وجاره، أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال عمر رضي الله عنه: «كفى بالمرء سرفاً أن لا يشتهي شيئاً إلا اشتراه فأكله».

وعن المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». [رواه البخاري ومسلم].

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فهذا هو الدرس السابع عشر من دروس الإيمان في شهر رمضان.

فرض صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وما كاد المسلمون يبدءون في صيام أول رمضانَ يمر بهم بعد نزول فريضة الصيام، حتى كانت غزوة بدر البكرى، وذلك أن رسول الله ﷺ، بلغه خبرُ العير المقبلة من الشام لقريش، صحبة أبي سفيان بن حرب، وإن معها نحو أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش، وكان المسلمون يوم هاجروا من مكة تركوا أموالهم وبيوتهم، فاستولى عليها المشركون.

وندب رسول الله ﷺ الناسَ للخروج إلى القافلة، وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالاً بليغاً، فخرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وكان معهم فَرَسان فقط، وسبعون بعيراً، يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، أي يركب كل منهم حصته ثم يركب الآخر، وهكذا، وكان رسول الله ﷺ وعلي ومَرْثَد بن أبي مرثد الغنويُّ يعتقبون بعيراً. وقال الرجلان لرسول الله ﷺ: نحن نمشي عنك، فقال: «ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» [رواه الإمام أحمد بإسناد حسن والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي].

ولما علم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ، أرسل صريخاً إلى أهل مكة، يستنهضهم للدفاع عن القافلة، فخرجوا بجيش قوامه ألف رجل مدجّجين بالسلاح، ولما علم رسول الله ﷺ بخروج جيش المشركين استشار أصحابه، فقال قائل الأنصار: «فاظعن حيث شئت، وصلْ حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأَعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحبَّ إلينا مما تركت، وما أمرتَ فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلُغ البَرْكَ من غَمدان لنسيرنّ معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك».

وقال قائل المهاجرين: لا نقول لك كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك، وعن خلفك. فأشرق وجه رسول الله ﷺ، وسُرّ بما سمع من أصحابه، وقال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مصارع القوم».

وغيّر أبو سفيان طريقه ونجا بالقافلة، فأرسل إلى أهل مكة أن ارجعوا، ولقد همّوا بالرجوع لولا أبو جهل وإصرارُه على أن يرد بدراً، ويقيمَ بها ثلاثة أيام، حتى تسمع العرب بهم، وتخافَهم بعد ذلك.

والتقى المسلمون والمشركون عند ماء بدر، غير أن المسلمين سبقوا إلى الماء، وبنوا حوضاً فملؤوه بالماء، وبُني لرسول الله ﷺ عريشٌ على تل يشرف على المعركة. فلما تراءى الجمعان، قال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها، جاءت تُحادُّك وتكذب رسولك» وقام ورفع يديه واستنصر ربه، وقال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أَنْشدك عهدَك ووعدك». واستنصر المسلمون ربهم، وأخلصوا له، وتضرعوا إليه.

وبات رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع شجرة هناك، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها، واصطفّ الفريقان، وبرز من المشركين عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة، فخرج إليهم علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث، فَقَتل علي الوليد، وقَتَل حمزة عتبة، واختلف عبيدة وشيبة ضربتين، فكرّ علي وحمزة على شيبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، فلم يزل مريضاً حتى مات بالصفراء.

ثم دارت رحى الحرب، وحمي الوطيس، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه عز وجل، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق، وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك.

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، وأخذ القومَ النعاسُ في حال الحرب، ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع. وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيّد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتافَ المشركين، فعملوا فيهم قتلاً وأسراً، فقتلوا سبعين منهم، وأسروا سبعين، واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس.

وكان من شهداء بدر عميرُ بن الحُمَام، وكان من قصته أنه سمع وعظ رسول الله ﷺ وخطبته قبل المعركة، يَعد المسلمين بجنة عرضها السموات والأرض، لمن يقتل في سبيل الله، فقال عمير بن الحُمَام: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. قال: بخٍ بخٍ يا رسول الله. قال: ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنكَ من أهلها. قال: فأخرج تمرات من قَرَنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى

آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل، وكان أولَ قتيل في المعركة.

وقتل في المعركة صناديد قريش وطواغيتها، وعلى رأسهم أبو جهل فرعون هذه الأمة، وكان قد تسابق إلى قتله ابنا عفراء، شابان صغيرا السن، فضرباه حتى برد، ثم جاءه عبد الله بن مسعود بعد ما انتهت المعركة، فقتله، وكان به رمق.

ولما انقضت الحرب، أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى، فقال: بئس عشيرةُ النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدّقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب أي بئر، فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم فقال: يا عتبةُ بنَ ربعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا فلان ويا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ما تخاطب من أقوام قد جَيّفُوا؟ فقال: والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب. ثم ارتحل رسول الله ﷺ إلى المدينة، مؤيداً منصوراً، قريرَ العين بنصر الله له، ومعه الأُسارى والمغانم، ودخل الخوفُ قلوبَ أعدائه، وأسلم بشر كثير من أهل المدينة، ودخل حينئذ عبد الله بن أبي المنافق وأصحابُه في الإسلام ظاهراً.

هذا وللحديث صلة وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد فهذا هو الدرس الثامن عشر من دروس الإيمان في شهر رمضان.

لقد كانت غزوة بدر فرقاناً بين الحق والباطل، وفرقاناً بين عهدين من حياة الدعوة الإسلامية: عهدِ الضعف والمسكنة والقلة، وعهد القوة والمنعة والعزة، وكانت فرقاناً بين المؤمنين والكافرين في الدنيا، وفي الآخرة كذلك.

فأما في الدنيا، فقد كانت فرقاناً بين المؤمنين والكافرين، حيث لقي المسلمون في المعركة أقرباءهم وأهليهم من المشركين، فما كان في قلوب المؤمنين أيُّ مودة ولا هوادة للكافرين: فهذا أبو عبيدة بن الجراح قتل أباه، كما رواه الطبراني بإسناد جيد، والبيهقي والحاكم، وهذا أبو حذيفة يدعو أباه عتبة بن ربيعة إلى المبارزة كما رواه الحاكم والبيهقي، ومصعب بن عمير يرى أخاه لأبيه وأمه أبا عزيز، فيقول لآسره من الأنصار: شدّ يديك به، فإن أمه ذات مال لعلها تفديه منك. ويقول له أبو عزيز: يا أخي أهذه وصاتُك بي؟ فيرد مصعب: إنه أخي دونَك.

وكانت معركة بدر فرقاناً بين المسلمين والكافرين في الآخرة

كذلك، حيث يصير المؤمنون إلى جنة عرضها السموات والأرض، ويصير الكافرون إلى عذاب أليم، ويصب من فوق رؤوسهم الحميم، كما قال تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

ومن دروس غزوة بدر وعبرها، أن المسلمين خرجوا من المدينة يريدون القافلة، ولكن الله تعالى شاء لهم أمراً آخر، هم أرادوا المغنم القريب الصغير، والله عز وجل أراد لهم عز الدنيا وكرامة الآخرة، ومن وراء ذلك المغانم الكثيرة.

لقد أراد الله عز وجل أن يحق الحق ويبطل الباطل أراد أن يعلي راية دينه خفاقة عزيزة مرهوبة الجانب، وينكس راية الكفر والشرك والطغيان، لقد أرادها ربنا سبحانه وتعالى معركة حاسمة بين الحق وأهله، وهم في قلة من العَدَد والعُدَدَ، غيرَ متأهبين للمعركة، وبين الكفر وطواغيته، وهم في كثرة من العَدَ والعُدد، وقد خرجوا يريدون الحرب متأهبين لقد كانت معركة بدر مثلاً على قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء، ولا يقف لها شيء، وأظهرت كيف ينصر الله تعالى أولياءه إن هم أطاعوه، على الرغم من كون جميع الأسباب المادية الظاهرة للنصر في صف المشركين. إن قدرة الله تعالى لا تحدها الأسباب لأنها فوق الأسباب، حتى المدد بالملائكة، لم يكن أكثر من بشرى للمؤمنين، وتطمينٍ لقلوبهم، أما النصر فهو من عند الله العزيز الحكيم، كما قال ربنا سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩ ـ ١٠].

لقد كان قدر الله تعالى، من وراء المسلمين يدير المعركة، ويرتب أحداثها، فقدر الله تعالى جمع بين المؤمنين والكافرين في مكان واحد على غير ميعاد، ولو تواعدوا لما وصلوا جميعاً إلى بدر في وقت واحد، كما قال ربنا سبحانه: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولقد أغرى رب العزة جل وعلا كل فريق بالآخر، وأطمعه فيه، ليقبل الفريقان على المعركة راغبين، كما قال ربنا سبحانه: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٣ ـ ٤٤].

وتدخلت القدرة الإلهية لصالح المسلمين، فأوجدت حلاً لمشكلاتهم الطارئة، فأما الخوف والقلق، الناجمان عن المفاجأة غير المتوقعة، بلقاء الجيش العرمرم، دون استعداد للقتال، فقد أذهبهما الله تعالى، بأن غشّى النعاس المسلمين، فأفاقوا مطمئنين، في قلوبهم السكينة، وفي نفوسهم رباطة الجأش، وفي أفئدتهم العزم والتصميم.

وأما العطش، والجنابة التي أصابت بعضهم، وعدمُ ثبات الأرجل على الرمال، فقد عالجتها القدرة الربانية بإنزال الماء الطهور من السماء، فشربوا، وتطهروا، وثبتت أقدامهم وأرجل دوابهم على الأرض، كما قال ربنا سبحانه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

ما أجدر المسلمين أن يقفوا طويلاً عند هذا الدرس من دروس

غزوة بدر وعبرها، حتى تمتلىء نفوسهم يقيناً، وقلوبهم إيماناً، وعقولهم تسليماً بأن النصر من عند الله، وأن الأعداء مهما كثروا، وظاهر بعضهم بعضاً، فلن تغني عنهم كثرتهُم شيئاً، ما دام الله جل وعلا بقدرته العظيمة مع المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۚ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [لأنفال: ١٩].

ما أجدر المسلمين بالوقوف عند دروس غزوة بدر وعبرها وعظاتها، ليدركوا ما هو المطلوب منهم لإحراز النصر، النصر على أعدائهم فيحققوه، ويعلموا ما لا أثر له في نتيجة المعرفة، فلا يجبنوا عن لقاء عدوهم إذا لم يحرزوه، إن المطلوب لتحقيق النصر جملةُ أمور ذكرها الله تعالى في سورة الأنفال، في أثناء التعقيب على أحداث غزوة بدر، وكلها ميسورة للمسلمين في كل زمن، لو أرادوا وحالفهم التوفيق قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٥ ـ ٤٧].

ويقول ربنا جل وعلا في نفس السورة ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٠] هذه هي شروط النصر كما أوردتها سورة الأنفال، فهل في شيء منها ما يعجز عنه المسلمون؟ اللهم لا. إلا لإرادة الصادقة، والعزيمة القوية، والرغبةَ في الآخرة أكثر من الدنيا وأن يعلموا أن الجهاد في سبيل الله تعالى شرف وأي شرف لمن يخوضون غماره، سواء من الناس، أو من الملائكة المكرمين، كما جاء عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه، وكان

أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة. [رواه البخاري في صحيحه].

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

فهذا هو الدرس التاسع عشر من دروس الإيمان في شهر رمضان عباد الله إن شهر رمضان شهر خير عميم، وشهر مغفرة للذنوب، وشهر رحمة واسعة، والباب الذي يلج منه المسلم إلى هذا الفضل والرحمة، والخير والمغفرة هو الدعاء، فبالدعاء تستنزل الرحمات، وبه يستدفع البلاء، وبه تنال الرغبات، وبه تغفر الزلات، وبالدعاء يلج المسلم في الجنات، والدعاء عبادة من أفضل العبادات، والتضرعُ إلى الله عز وجل قربة من أعظم القربات، كما جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة». [رواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، وقال الترمذي: حسن صحيح. وابن حبان والحاكم وصححه].

قال الطيبي: أتى بضمير الفصل، والخبر المعرف باللام، ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، وقال غيره: المعنى هو من أعظم العبادة، فهو كخبر الحج عرفة، أي ركنه الأكبر .اهـ.

وبين الدعاء والصيام صلة قوية، لأن الصائم مستجاب الدعوة حتى يفطر، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن

رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم» الحديث. [رواه ابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما].

ورواه البزار، ولفظه «ثلاثة حق على الله أن لا يرد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع».

وأخرج الترمذي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الصائم لا ترد دعوته» [قال الترمذي: حسن].

فلنغتنم أيام الصيام، ونكثرْ من الدعاء، فقد وُعدنا بالإجابة ما دمنا في دورة التقوى في رمضان، وإنها لفرصة عظيمة، أن يكون المسلم مستجاب الدعوة ما دام في مدرسة الصوم. فليدع بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، فإن الله تعالى كريم، وليس لكرمه حد، ويعطي عباده ما سألوه، وليس يحصي عطاءه عَدّ، وهو القائل جل وعلا في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» [رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه]. وفي أوائل الحديث قوله: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسُكم».

قد تسألوني: ما بال بعضنا يدعون ولا يستجاب لهم؟ أقول: الجواب في حديث رسول الله ﷺ، الذي رواه أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه ولفظه: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجّل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يَصرف عنه من السوء مثلَها، قالوا: إذاً نكثر. قال: الله أكثر» يعني أكثر إجابة.

[رواه الإمام أحمد، والبزار، وأبو يعلى بأسانيد جيدة، والحاكم وقال صحيح الإسناد].

وعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلَها، ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم. فقال رجل من القوم: إذاً نكثر، قال: الله أكثر» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

وقد يكون السبب في عدم إجابة الدعاء، كونَ الداعي يأكل الحرام، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً»، الحديث، وفيه: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له» [رواه مسلم].

وقد يكون السبب كونَ الداعي غارقاً في المعاصي، سادراً في الضلال، مصراً على الغواية، إذا نزلت به شدة رفع يديه بالدعاء، فإذا جاوزها ركب المعاصي، ونسي ربه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢].

من أراد أن يستجاب له، فليحرص على أكل الحلال، وليحذر الإصرار على المعاصي، وليتأدب بآداب الدعاء كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. ومن ذلك؛ قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

والتضرع: هو التذلل والاستكانة، والخفية: خفض الصوت بالدعاء لأنه أدعى إلى الخشوع وأقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن

الرياء. وأما الاعتداء في الدعاء الذي نهت عنه الآية الكريمة، فهو كما قال القرطبي في تفسيره: والاعتداء في الدعاء يكون على وجوه منها: الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعوَ في محال، ونحوِ هذا من الشطط، ومنها أن يدعوَ طالباً معصية وغير ذلك، ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخيرَ ألفاظاً مقفاة، وكلمات مسجعةً، قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معولَ عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسوله عليه الصلاة والسلام، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء .اهـ. كلامه.

ومن آداب الدعاء اختيار الأوقات الفاضلة: كجوف الليل الآخر، وهو الثلث الأخير من كل ليلة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيَه، من يستغفرني فأغفرَ له» [رواه البخاري ومسلم].

ومن الأوقات الشريفة كذلك دبر الصلوات المفروضة، كما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوفَ الليل الآخر، ودبرَ الصلوات المكتوبات». [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن].

ومنها ما بين الأذان والإقامة كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد» [رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه، وابن حبان والحاكم].

ومن آداب الدعاء الاستمرار فيه كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يَعْجل يقول: دعوت فلم يستجب لي» [رواه البخاري ومسلم].

وأفضل الدعوات وأجمعها، وأكثرها بركة وخيرها، وأبعدها عن الاعتداء في الدعاء، ما جاء في القرآن الكريم، وفي سنة الرسول عليه

الصلاة والسلام. ومن أعلى ذلك وأكثره خيراً: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». فقد كان أكثرُ دعاء النبي ﷺ بها، كما رواه البخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه.

قال ابن كثير في تفسيره: جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس العشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان، ونحن اليوم في العشرين من رمضان، وبه يتم انقضاء ثلثي الشهر الكريم، ويبقى ثلثه.

فقد انقضى عشر الرحمة، وعشر المغفرة، وبغروب شمس هذا اليوم نستقبل عشر العتق من النار.

أسأل الله تعالى أن يعتقني وإياكم منها بفضله ورحمته. وفي هذا العشر الأخير من رمضان خير كثير، وأجر عظيم، وأعظم ما فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، كما أن فيه الاجتهاد في القيام، والذكر، والدعاء، وإحياء الليالي بطاعة الله تعالى، فقد كان من دأب رسول الله ﷺ أن يجتهد في العشر الأخير من رمضان في العبادة ما لا يجتهد في غيرها، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها» [رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه].

ومن مظاهر اجتهاده عليه الصلاة والسلام في العشر الأواخر في العبادة أكثر من سائر الشهر أنه ﷺ كان يحيي الليل في العشر الأخير، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر» [رواه البخاري ومسلم].

ومعنى أحيا الليل كما قال ابن حجر رحمه الله: أي سهره، فأحياه بالطاعة، وأحيى نفسه بسهره فيه، لأن النوم أخو الموت. اهـ كلامه.

وإحياء الليل يكون بالصلاة، وهي خير الأعمال وأفضلها في إحياء الليل، كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية» [رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» [رواه مسلم].

فينبغي الحرص على صلاة القيام وصلاة التهجد في هذا العشر المبارك أكثر من الليالي العشرين الماضية. ويكون إحياء الليل إضافة إلى الصلاة بالذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، ومدارسته، ومدارسة العلم الشرعي، وأمثالِ ذلك من العبادات، وليس المقصود بإحياء الليل أن يبقى المسلم يقظان مشتغلاً بالعبادة طوال الليل، ولا ينام، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام ما كان يقوم كل الليل، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما علمته ﷺ قام ليلة حتى الصباح» [رواه مسلم].

ومن مظاهر اجتهاده ﷺ في العشر الأواخر، أنه كان يوقظ أهله للعبادة وقيام الليل، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها السابق. وكما روى الترمذي ومحمد بن نصر من حديث زينب بنت أم مسلمة: لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه.

وعن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ «كان يوقظ أهله في

العشر الأخير من رمضان». [أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن أبي شيبة وأبو يعلى. قال الترمذي: حسن صحيح].

ومن مظاهر اجتهاده عليه الصلاة والسلام، في العبادة في العشر الأخير من رمضان، شدُّه مئزره عليه الصلاة والسلام، والمراد بشد المئزر اعتزال النساء، ويمكن أن يراد الاجتهاد في العبادة.

قال الإمام ابن حجر: وقد وقع في رواية عاصم بن ضمرة (شد مئزره واعتزل النساء) فَعَطَفه بالواو، فيتقوى الاحتمال الأول.اهـ. أي اعتزال النساء.

ومن مظاهر اجتهاده عليه الصلاة والسلام في العبادة في العشر الأخير من رمضان، اعتكافه ﷺ، كما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان» [متفق عليه]. وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ «كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده» [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً» [رواه البخاري].

والاعتكاف سنة، لكن أكثر الناس عنها غافلون، على الرغم من عظم أجرها، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سمعت صاحب هذا القبر ﷺ، والعهدُ به قريب ـ فدمعت عيناه ـ وهو يقول: من مشى في حاجة أخيه وبَلَغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى، جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، أبعدَ مما بين الخافقين» [رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي، والحاكم لكن مختصراً وقال: صحيح الإسناد].

والاعتكاف هو البقاء في المسجد بقصد العبادة، وينام المعتكف في المسجد مدة اعتكافه، ولا يخرج من المسجد إلا لحاجة لا بد منها، كشراء الطعام وغسل الجنابة وغير ذلك، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً، ولا يشهدَ جنازة، ولا يمسَّ امرأة، ولا يباشرَها، ولا يخرجَ لحاجة إلا لما لا بد منه. ولا اعتكافَ إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع» [رواه أبو داود].

قال الحافظ ابن حجر: ولا بأس برجاله إلا أن الراجح وقف آخره.

ومن شق عليه اعتكاف العشر الأواخر كلها، فليعتكف بعضها، ولو يوماً، أو يومين، ولو بعض يوم، فإن الاعتكاف أقله ساعة، وكل من قصد المسجد، له أن ينوي الاعتكاف مدة لَبْثه فيه.

ومن أراد اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، دخل معتكفه قبيل غروب شمس اليوم العشرين منه، وخرج منه بعد صلاة العيد، ولو خرج ليلة العيد بعدما تبين انتهاء رمضان فلا بأس بذلك.

ولا يكون الاعتكاف إلا في المسجد، وفي الجامع أفضل، وأفضل المساجد على الإطلاق، للاعتكاف وغيره، المسجد الحرام بمكة المكرمة، ثم المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ثم المسجد الأقصى في القدس، عجّل الله تحريره، وإنقاذه من أيدي الغاصبين الظالمين.

ويشتغل المعتكف بقراءة القرآن وحفظه، ومدارسته، ومدارسة العلم ومراجعته، وبذكر الله تعالى، والصلاة، وغيرها، وينبغي للمعتكف اجتناب ما لا يعنيه، لقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [رواه الترمذي والإمام أحمد، والطبراني في الأوسط، والحاكم في الكنى. وهو حديث صحيح].

ولا ينبغي له أن يكثر الكلام بغير ذكر الله تعالى، غير أنه لا يصوم عن الكلام، لأنه غير مشروع في ديننا.

وإذا خرج المعتكف من المسجد لغير حاجة انقطع اعتكافه، فإذا عاد بدأ اعتكاف آخر، وأما النساء فيعتكفن في بيوتهن، في الموضع الذي اعتادت الواحدة منهن الصلاة فيه، وأما اعتكافهن في المساجد فإنه مكروه، والله أعلم.

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وارزقنا الاجتهاد في طاعتك وعبادتك، وتقبل منا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الحادي والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الحادي والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾.

لقد كان فتح مكة الفتحَ الأعظم، لأنه فتح لأقدس بقعة، وتحرير للمسجد الحرام، من سلطان الشرك، وسيطرة الطاغوت، ولأنه أزال أكبر العوائق التي كانت تحول بين الناس وبين الإسلام، ففتحت القلوب، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فقد روى البخاري في صحيحه، عن عمرو بن سلمة قال: «لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تتلوم ـ أي تنتظر ـ بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي..» الحديث.

قال ابن كثير رحمه الله: فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مُظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة. اهـ كلامه.

وكان فتح مكة في شهر رمضان المبارك، وكم شهدت أيام رمضان من فتوحات وانتصارات في تاريخ المسلمين، على رأسها هذا الفتح المبين، وقصة ذلك أن قريشاً نقضت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من شروط صلح الحديبية، بمشاركتهم في الاعتداء على خزاعة، حلفاءِ رسول الله ﷺ، فاستنصرت خزاعة برسول الله ﷺ، وطالبت بتنفيذ شروط حلفها مع المسلمين، وأَمَر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، دون أن يعلمهم بوجهته، ثم أعلمهم بوجهته، وأمرهم بالإسراع، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها».

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة، لعشر ليالي مَضَيْن من رمضان، سنة ثمان من الهجرة، وكان صائماً والناس صيام، حتى إذا كان بالكُدَيد أفطر وأفطر الناس معه. وكانوا عشرة آلاف، وفي الطريق لقي رسول الله ﷺ عمه العباسَ بالجحفة، وكان قد خرج بأهله وعياله مسلماً مهاجراً.

ولما اقترب المسلمون من مكة، لقي العباس أبا سفيان بن حرب، خرج يتحسس الأخبار، فأخذه إلى رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، وأمره أن يعلن في مكة، أنه من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن. فلما صرخ بها أبو سفيان بأعلى صوته في قريش، تفرقوا، غير أن أوباشاً منهم وسفهاء، تجمعوا بالخندمة مع عكرمة بن أبي جهل، وصفوانَ بن أمية، وسهيل بن عمرو، ليقاتلوا المسلمين، فلقيهم المسلمون، فناوشوهم شيئاً من قتال، وقتل من المشركين نحو اثني عشر رجلاً، ثم انهزموا.

ودخل رسول الله ﷺ، مكة المكرمة من أعلاها، متواضعاً لله تعالى، خافضاً رأسه عليه الصلاة والسلام، حتى دخل المسجد، فأقبل

إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه، ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. والأصنام تتساقط على وجوهها.

وكان طوافه عليه الصلاة والسلام على راحلته، ولم يكن يومئذ محرماً، فلما أكمل الطواف دعا عثمانَ بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت، فدخلها، فرأى فيها الصور، فأمر بها فمحيت. ثم أغلق عليه الباب، وعلى أسامة بن زيد، وبلال بن رباح، فصلى، وكبر، ووحّد الله تعالى، ثم فتح الباب، وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينتظرون ماذا يصنع. فأخذ بعضادتي الباب، وهم تحته، فقال:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مَأْثَرة، أو مال، أو دم، فهو تحت قدميّ هاتين، إلا سِدَانةَ البيت، وسقايةَ الحاج، ألا وقتل الخطأ شبهُ العمد، السَّوْطُ والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائةٌ من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها.

يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظُّمَها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم قال: يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم جلس في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟» فدعي له، فقال له: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليومُ يوم بر ووفاء».

وأمر رسول الله ﷺ بلالاً، أن يصعد، فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعتّاب بن أُسيد، والحارث بن هشام، وأشراف قريش جلوس بفناء الكعبة. فقال عتّاب: لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا، فيسمعَ منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته. فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال لهم: قد علمت الذي قلتم، ثم ذكر لهم ذلك. فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك.

فلما كان الغد من يوم الفتح، قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ومجّده بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، أو يعضُدَ بها شجرة، فإن أحدٌ ترخّص لقتال رسول الله ﷺ، فقولوا: إن الله أذن لرسوله ﷺ، ولم يأذن لكم، وإنما حلّت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب.

ونادى منادي رسول الله ﷺ بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَدَعْ في بيته صنماً إلا كسره. وأرسل رسول الله ﷺ سراياه لهدم الأوثان، فكسرت كلها.

والحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وخذل الشرك وأهله.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الثاني والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل ـ أي في الحديث القدسي ـ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صام» الحديث.

صيام رمضان مدرسة خلقية، تدرب الصائمين على ضبط انفعالاتهم وتعلمهم الإمساك بألسنتهم عن الشر، فلا يسمحون لها أن تنطق إلا بخير، ولا يمكنونها أن تتكلم إلا بمعروف، كما قال الله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

ولو ذهبنا نستعرض الشرور الاجتماعية، والآثار السلوكية، والمفاسد الخلقية، المترتبة على إرخاء العنان للألسن، تتكلم بما تشاء، لشق علينا ذلك، وربما أعيانا.

فكم من خلاف بين الإخوان، تسببت فيه زلة لسان، وكم من خصومة بين الجيران وَلَدتها هفوةُ لسان، وكم من قطيعة بين الأرحام جاءت بها كلمات خاطئات، وكم من عراك وقتال بين المسلمين، أججت نيرانه شتائم ومسبات. فإذا ملك كل مسلم لسانه، وضبط كل مؤمن فمه، فلم يخرج منه إلا الخير والمعروف، إذاً لامّحت كثير من أسباب الخصام من حياة المسلمين.

ونحن في مدرسة رمضان، ينبغي أن نستفيد من هذه الفرصة الإيمانية، ونأخذ بتوجيه رسول الله ﷺ: «فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم».

قال في القاموس: والرَّفَث محركةً: الجماع، والفحش، كالرُّفوث، وكلام النساء في الجماع، أو ما ووجهن به من الفحش. اهـ.

فالرفث الكلام الفاحش في الأمور الجنسية، وقد اعتاد مثلَ هذه الأحاديث فئام من الناس في مجالسهم، يَطْرَبون لسماعها، ويأنسون للخوض فيها، وهو أثر من انحراف الطبع، وقلة الحياء، والإسلامُ رغّب المسلمين في الحياء وحثهم عليه، في نفس الوقت الذي نهاهم فيه عن الفحش، وحذرهم منه. كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار» [رواه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

إن الحياء له في أخلاق الإسلام منزلةٌ عالية، ودرجةٌ سامية، فهو شعبة من شعب الإيمان، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [رواه البخاري ومسلم].

والحياء خلق امتاز به دين الإسلام لشدة عنايته به، فكان خلقاً خاصاً بهذا الدين وأهله، كما جاء عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه، قال رسول الله ﷺ: «إن لكل دين خلقاً، وخلقُ الإسلام الحياء» [رواه مالك وابن ماجه].

ذلك أن الإسلام عني بالحياء عناية فائقة، فجعله شعبة من الإيمان، لا بل رفعه إلى درجة أعلى من ذلك، فجعل وجودَه وجوداً للإيمان، وعدَمه عدَمه، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» [رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس].

ينبغي للصائم أن يقلع عن الأحاديث الفاحشة، والكلمات البذيئة، والألفاظ النابية، لأن كل ذلك يتنافى مع الصيام وأخلاقه، فالصيام ليس امتناعاً عن الطعام والشراب فقط، إنما الصيام مدرسة خلقية، ودورة إيمانية، وتهذيب للسان، وتنظيف للجنان، وتقويم للسلوك، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو الرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم» [رواه ابن خزيمة وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم].

ومما يتنافى مع الصيام وأخلاقه، اللغو والصخب، والسب والشتم، واللغو هو الكلام الذي لا فائدة فيه، وإن لم يكن فيه مضرة، والصَّخَب: شدة الصوت، ويقال: تصاخبوا: أي تصايحوا وتضاربوا. كذا في القاموس. فرفع الصوت، وكثرةُ الكلام، والصياحُ، وكثرةُ الخصومات، والسباب والشتائم كل أولئك يتصل بعضه ببعض، ويجر بعضه إلى بعض، وكل أولئك مما كرهه الإسلام وحذّر منه، في كل وقت وحين، ولكن في رمضان تعتبر هذه الصفات، أشدَّ فحشاً، وأكثر

قبحاً، لأن صدورها من الصائم، الذي يفترض فيه أنه يخضع لدورة تربوية في الخلق والسلوك، دليلٌ على عدم اهتمامه بدورة التقوى في رمضان، وبرهان على استهانته بما وُعد الصائمون من مغفرة الذنوب، والعتق من النار، ليس على امتناعهم عن الطعام والشراب فقط بل على حفظهم صيامهم من كل ما يتنافى معه، من القول، والخلق، والسلوك، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ، كفّر ما قبله» [رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي].

لا بد للمسلم من أن يتحفظ في رمضان، مما يتنافى مع الصيام، في أقواله، وأخلاقه، وسلوكه، كما دل عليه الحديث الشريف، ومما يؤسف له أن بعضاً من المسلمين لا يأبهون لهذا، وربما رأيت أحدهم في رمضان أسوأ خلقاً، وأشرس طبعاً، وأقبح لساناً، وأفحش نطقاً، منه في غير رمضان. ولا ريب أن هؤلاء ما فَقِهوا معنى الصيام، ولا عرفوا حقيقته، ولم يؤدوا الصوم المطلوب، إنما امتنعوا عن الطعام والشراب طيلة النهار، ثم أمضوا ليلهم في الطعام والشراب، واللغو والرفث، والضجيج والصخب، والسب والشتم، فما أجدرهم بقول رسول الله ﷺ، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر». [رواه النسائي وابن خزيمة، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري].

اللهم ارزقنا التأدب بآداب الصائمين، والتخلق بأخلاقهم، وتقبل منا صيامنا وقيامنا، وأعتق من النار رقابنا، ورقاب آبائنا، وأمهاتنا، وأزواجنا، وذرياتنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الثالث والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

وما زلنا مع توجيه رسول الله ﷺ، في قوله: «فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل إني صائم، إني صائم».

الصائم لا يقابل الجهل بالجهل، ولا الحمق بالحمق، ولا الطيش بالطيش، لكن يقابل جهل الجاهلين، وحمق الحمقى، وطيش الطائشين، ورعونة السفلة، وسَبَّ الرعاع، يقابل ذلك كله بالحلم والصفح، والترفع والإغضاء، لأنه بصيامه ارتقى إلى درجة سامية يتشبه فيها بالملائكة الكرام، الذين لا يأكلون ولا يشربون، إنما شغلهم التسبيح بحمد ربهم، لذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام، يوجه الصائمين، إلى أن يقابلوا الإساءات التي توجه إليهم بإعلان أنهم صائمون، أي فالصائم لا ينزل إلى مستوى الجاهلين ليبادل إساءة بإساءة، أو شتيمة بشتيمة، أو خصومة بخصومة. كما أن الصائم في دورة للتقوى، والتقوى عند المسلم أعلى وأغلى، وأرفع وأكرم، من أن يخسرها بدخوله في هذه الخصومة، أو المشاتمة.

والإسلام يوجه المسلمين عموماً إلى الصبر والحلم، والترفع والإغضاء عن جهل الجاهلين، وكظم الغيظ والعفو عن الناس، كما قال ربنا سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال جل وعلا: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] والصائم أحق بهذا الفضل، وهذا السمو النفسي، والكمال الخلقي، والسلوك القويم.

وضد الحلم الطيش، وسرعة الغضب، والغضب مفتاح شرور كثيرة، ومصائب وبلايا عديدة، كثيراً ما يوقع الغضبُ صاحبَه فيها، ثم يتركه يتجرع آلام نتائجها، ووخيمَ عواقبها طيلة حياته، فالغضب ربما حمل صاحبه على أن يضرب ولده فيؤذيه، أو يطلقَ زوجه فيبينَها، أو يطعنَ إنساناً فيقتله، أو يرميَ جهازاً فيحطمَه، وهو لا يعي من أمره شيئاً إلى أن تهدأ سورة غضبه، فيندمَ ولات ساعة مندم.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أوصني؟ قال: «لا تغضب»، فردد مراراً قال: «لا تغضب». [رواه البخاري].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: دلني على عمل يدخلني الجنة، قال رسول الله ﷺ: «لا تغضب، ولك الجنة» [رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح].

هذا، والناس طبقات، فبعضهم سريع الغضب سريع الرضا، وبعضهم بطيء الغضب بطيء الرضا، وخيرهم بطيء الغضب سريع الرضا، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر، ثم قام خطيباً... الحديث، وكان فيما حفظناه يومئذ: «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات، ألا وإن منهم البطيءَ الغضب السريعَ الفيء، ومنهم سريعُ الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم سريعَ الغضب بطيءَ

الفيء، ألا وخيرهُم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحسّ بشيء من ذلك، فليلصق بالأرض» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

إن قوة الإنسان التي تستحق التنويه، ليست قوةَ جسده، إنما هي قوة إرادته، وضبطِه انفعالات نفسه، فالشخص القوي، هو الحليم، الذي لا يُستفز لأدنى سبب، والضعيفُ هو الذي يطيش لبه لأتفه أذى، فينطلق كالثور الهائج، يُرغي ويُزيد، ويسب ويلعن، ويَكْسِر ويَحْطِم، كأنما فقد عقله وإرادته. كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الصُّرَعة فيكم؟ قالوا: الذي لا تصرعه الرجال. قال: ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب» [رواه مسلم].

وفي مدرسة الصيام يتعلم المسلم الأخلاق الفاضلة، والسلوك السامي، ويتدرب على الحلم والصفح، والعفو والمسامحة، وكلُّ أولئك من أكرم الخلال وأرفعها درجة عند الله تعالى، والله عز وجل يحب أهلها، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلمَ والأناة» [رواه مسلم].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بما يشرّف الله به البنيان ـ أي يعليه ـ ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك» [رواه الطبراني والبزار].

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين ما شاء» [رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه].

إن كظم الغيظ ليس ضعفاً إنما هو قوة، والصفحُ عن الجاهلين ليس جبناً، إنما هو ترفع عن الدنايا، والحلم عند الاستفزاز، ليس خَوَراً، إنما هو قمة الصلابة في الحق، وقوةِ الإرادة. وإن الله تعالى يدافع عن عباده الذين يكظمون غيظهم، ويكبت أعداءهم كما جاء عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه، وقع رجل بأبي بكر رضي الله عنه فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: أوجدتَ عليَّ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نزل ملك من السماء يكذبه بما قال، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذن مع الشيطان» [رواه أبو داود مرسلاً ومتصلاً، وذكر البخاري في تاريخه أن المرسل أصح].

فليكن شعارُنا في تعاملنا فيما بيننا قولَ الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقولَه جل وعلا: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقولَه سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

اللهم كما حسّنت خَلْقنا فحسّن أخلاقنا، وحرّم شعورنا وأبشارنا على النار.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الرابع والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

ونحن في أيام العشر الأخير من رمضان، ولم يبق من هذا الشهر الكريم إلا أيام قليلة، وليالٍ معدودة، يرحل بعدها هذا الشهر الكريم، شاهداً علينا بما عملنا فيه، فمن أحسن العبادة، والتزم الطاعة، فاز ونجح، ومن فرّط في عبادة ربه، وركب العصيان خاب وخسر.

وعلى الرغم من قلة ما بقي من أيام رمضان، ولياليه في العدد، فإنها أفضل الليالي والأيام في هذا الشهر الكريم، والسعيد من وُفّق لمضاعفة العبادة في هذه الأيام والليالي، فزاد من القيام في الليل بين يدي الله تعالى، مصلياً وذاكراً، داعياً متضرعاً، يسأل ربه مغفرة الذنوب، والعتقَ من النار، ويفتدي نفسَه من عذاب الله تعالى بما استطاع من الصدقة والإنفاق، لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة. كما قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن

يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

ويقول ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٨ ـ ٢٠].

ليجلس كلٌّ منّا مع نفسه خالياً، ولْيراجع حسابه، وصحيفةَ أعماله، ماذا قدم لغدٍ؟ عندما ينزل به الموت، ويُنْقل من قصره المنيف، إلى حفرة قبره، ويترك أهله وأولاده، وأمواله وعقاراته، ومصانعَه ومؤسساتِه، ويُدَلّى في قبره وحيداً، ثم يغلق عليه القبر... ماذا قدّم الواحد منا ليوم غدٍ؟ عندما يُبْعث من قبره، ويحشر وسائرَ الخلائق للحساب، في اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ١ ـ ٢]. ويقول جل وعلا في ذلك اليوم: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً ـ أي غير مختونين ـ قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة الأمر أشدُّ من أن يُهِمَّهم ذلك».

وفي رواية: «الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض» [رواه البخاري ومسلم].

إن مشاغل الدنيا كثيرة، وملهياتها عديدة، وشهواتِها آسرة، وإن بعض الناس ينغمسون في متع الحياة، ويجرون وراء شهواتها، ويُفْنون أعمارهم في التكاثر في الأموال والأولاد، حتى يَهْجُمَ الموتُ عليهم فجأة، فيأخذَهم في زيارة للمقابر لا يعودون منها أبداً. كما قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

وهذا الصنف من الناس قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٣ ـ ١٠٤].

وقال جل وعلا: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾ [الزمر: ١٥ ـ ١٦].

تقاس رجاحة عقل الإنسان، بمقدار ذكره للموت، واستعداده لما بعد الموت، كما يقاس حُمْق الإنسان وخُرْقُه، بمقدار استهتاره بالموت، وغفلته عما بعد الموت من الحساب والجزاء. كما جاء عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الكيّس من دان نفسه ـ أي حاسبها ـ وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: مات رجل من أصحاب النبي ﷺ فجعل أصحاب رسول الله ﷺ، يثنون، ويذكرون من عبادته، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما سكتوا، قال رسول الله ﷺ: «هل كان يكثر ذكر الموت؟» قالوا: لا. قال: «فهل

كان يدع كثيراً مما يشتهي؟» قالوا: لا. قال: «ما بلغ صاحبكم كثيراً مما تذهبون إليه» [رواه الطبراني بإسناد حسن].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعدّ نفسك في أصحاب القبور». وقال لي: «يا ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سُقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً» [رواه البخاري، والترمذي واللفظ له]. أي لا تدري هل تكون غداً حياً أم ميتاً. أو لا تدري هل تكون غداً شقياً أو سعيداً.

لقد كان اجتهاد رسول الله ﷺ في طاعة ربه عظيماً، على الرغم من أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعلى الرغم من كونه أولَ من يدخل الجنة، أقول على الرغم من ذلك، فقد كان يصلي في الليل فيطيل الصلاة، كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة، فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء. قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه. متفق عليه.

فنحن والله أحق بالاجتهاد في الطاعة والعبادة، بسبب كثرة ذنوبنا، وتفريطنا فيما سلف من أيامنا، وتقصيرنا في أبواب الخير على كثرتها وتعددها. وهذه أيام الصدقة، وليالي العبادة، فاجتهدوا رحمكم الله في طاعة الله وعبادته، قبل انسلاخ هذا الشهر الكريم.

اللهم ارزقنا فيما بقي من أيام رمضان ولياليه، صياماً مقبولاً، وقياماً بين يديك، يحببنا إليك، واكتب لنا برحمتك عتقاً من النار، وفوزاً بالجنة، وأنت أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الخاس والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

عباد الله: من أبواب الخير العظيمة في رمضان ـ وما أكثر أبواب الخير فيه ـ أن العمرة في رمضان تعدل في الأجر والثواب حجة. كما جاء في الأحاديث الصحيحة، عن رسول الله ﷺ، ومنها: ما رواه البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما رجع النبي ﷺ من حَجته، قال لأم سنان الأنصارية: ما منعكِ من الحج؟ قالت: أبو فلان ـ تعني زوجها ـ كان لنا ناضحان حج على أحدهما، والآخر يسقي أرضاً لنا. قال: فإن عمرة في رمضان تقضي حَجة معي». [وهذا لفظ البخاري].

وعن أم معقل رضي الله عنها، قالت: «لما حج رسول الله ﷺ، حَجة الوداع، وكان لنا جمل، فجعله أبو معقل في سبيل الله. قالت: وأصابنا مرض وهلك أبو معقل. قالت: فلما قفل رسول الله ﷺ من حَجته، فقال: يا أم معقل، ما منعكِ أن تخرجي معنا؟ قالت: يا رسول الله، لقد تهأينا فهلك أبو معقل، وكان لنا جمل هو الذي نحج عليه، فأوصى به أبو معقل في سبيل الله. قال: فهلا خرجتِ عليه فإن

الحج في سبيل الله. فأَمّا إذ فاتتكِ هذه الحجة، فاعتمري في رمضان فإنها كحجة». [رواه أبو داود والترمذي مختصراً، وقال: حديث حسن غريب. ورواه ابن خزيمة باختصار، ورواه النسائي نحوه].

وعن أبي طُلَيْق رضي الله عنه، أنه قال للنبي ﷺ: فما يعدل الحجَّ معك؟ قال: «عمرة في رمضان» [رواه البزار والطبراني في الكبير بإسناد جيد].

هذا فضل من الله تعالى ونعمة، وخصوصية من خصوصيات هذا الشهر الكريم، حيث يعطى المسلم أجر الحجة على أداء مناسك العمرة. وإذا كانت الحجة لا تتكرر في العام أكثر من مرة، فإن العمرة في رمضان يمكن أن تتكرر، لكن ذلك موضع خلاف بين الفقهاء، فقد كره بعض أهل العلم الإكثار من العمرة وتكرارها. واستحب ذلك آخرون.

هذا، وأيام رمضان كلها سواء لأداء العمرة، لأن النبي ﷺ أطلق القول في رمضان، وعليه فإن أداء العمرة في أول رمضان، كأدائها في آخره، وبذلك يُعرف أن تخصيص أداء العمرة بليلة سبع وعشرين لا مبرر له، ولا أصل يرجع إليه وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما يحصل ليلة سبع وعشرين من الزحام الشديد في الحرم، في الطواف والسعي، كان الراجح أن أداء العمرة في ليلة أخرى، أولى وأرجى في القبول للاعتبارات الآتية:

أولاً: كثرة الزحام ليلة سبع وعشرين بحيث يحصل التدافع والإيذاء، وهو منهي عنه.

ثانياً: اختلاط الرجال بالنساء مع شدة الزحام، تحول بين الرجل وإمكانية تحاشي لمس المرأة الأجنبية، وبين المرأة وإمكانية تحاشي لمس الرجل الأجنبي.

ثالثاً: الزحام الشديد يؤدي إلى التعب والإرهاق، وزيادةِ وقت أداء العمرة أضعافاً، وكل ذلك دون مبرر شرعي.

رابعاً: الزحام الشديد ليلة سبع وعشرين، يحول بين المعتمر وبين تحصيل الخشوع في الطواف، وحضور القلب في الأدعية والأذكار، ويشتت ذهن الطائف والساعي، ويشغله في تحاشي الإيذاء، وفي دفع الأذى عن نفسه أو عياله.

لهذه الاعتبارات كلها، فإني أنصح إخواني المسلمين بأن لا يحرصوا على أداء العمرة ليلة سبع وعشرين، وليكن أداؤهم لها في ليلة أخرى، بحيث يتمكن المعتمر من الطواف دون إيذاء أحد، ويتمكن من أداء الأدعية، والأذكار في الطواف، والسعي، مع حضور القلب، واستجماع الذهن.

ومما ينبغي التنبه له، أن العمرة ليس لها وقت معين، فإذا أحرم المسلم بالعمرة، وذهب إلى الحرم، فوجد زحاماً في الطواف، أو في السعي، فليس له أن يتحلل من إحرامه، ويلغيَ عمرته. بل عليه أن يبقى محرماً حتى يؤدي مناسك العمرة. فإذا لم يتمكن من ذلك في نفس اليوم، فليؤدها في اليوم الثاني، أو الثالث، أو بعد أسبوع أو أكثر. المهم أنه لا يحق له التحلل من إحرامه حتى يؤدي عمرته.

ومما ينبغي التنبه له كذلك، أنه ليس للطائف، أو الساعي، أن يرفع صوته بالذكر، أو بالدعاء، بحيث يشوش على الآخرين، فإن كثيراً من المعتمرين، يؤدون الأدعية بأعلى أصواتهم، ويصيحون صياحاً منكراً. وهو أمر منهي عنه، كما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هلّلنا وكبرنا، وارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس

اربَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً. إنه معكم، إنه سميع قريب» [رواه البخاري ومسلم].

ومعنى قوله: اربَعُوا على أنفسكم: أي ارفقوا بأنفسكم.

وقال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال الحسن البصري: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ﴾، وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾. اهـ كلامه.

ومما ينبغي التنبه له كذلك، أن كتب الأدعية المنتشرةَ في أيدي المعتمرين، لا تشترط قراءتها في العمرة، فإن العمرة ليس لها ذكر مخصوص، أو أدعية واجبة فيها، فيمكن للمعتمر أن يدعو في الطواف والسعي بما تيسر من الدعاء، وليس هناك دعاء مخصوص، لكل شوط من أشواط الطواف والسعي.

يضاف إلى ذلك أن كثيراً من المعتمرين لا يحسنون قراءة هذه الأدعية، ويخطئون في ذلك، ويقلبون المعاني، ويلحنون في القراءة، خاصة إذا كانوا من الأعاجم، وكل ذلك من الاعتداء في الدعاء، الذي نهينا عنه، في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾. وحسب الطائف أن يدعو بأي دعاء يحفظه، يكرره ويعيده، أو يقرأ القرآن، أو يذكر الله تعالى بالأذكار المأثورة، كقوله سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أو قوله سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أو قوله لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب

وحده، أو قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ونحو ذلك من الأدعية والأذكار.

اللهم فقهنا في ديننا، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وارزقنا العمل بالعلم مع الإخلاص لوجهك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس السادس والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

عباد الله؛ إن من أبواب الخير في رمضان، وما أكثرها، ليلةَ القدر، لأن قيام ليلة القدر يكافأ بمغفرة الذنوب، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه البخاري ومسلم].

وبسبب من شرف هذه الليلة، ورفيع منزلتها، وعظيم قدرها عند الله تعالى، فقد أنزل الله تعالى في القرآن الكريم، سورة خاصة ببيان فضل هذه الليلة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

ذكر الله تعالى مزايا ليلة القدر في هذه السورة الكريمة، ومن هذه المزايا أنها ليلةٌ تنزل فيها القرآن الكريم. والمعنى أنه ابتدأ إنزال القرآن الكريم في ليلة القدر كما قال الشعبي.

وقال ابن عباس: نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة، في ليلة القدر، من اللوح المحفوظ، إلى سماء الدنيا، إلى بيت العزة، ثم نزل به جبريل نجوماً أي مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ يشعر بعلو قدر هذه الليلة، لأنه يدل على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق، فلا يعلم حقيقة قدرها إلا الله جل وعلا، ولكن الله تعالى قرب إلى أفهامنا شرف هذه الليلة بما ذكر من فضائلها وميزاتها. والتي منها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ فهذه الليلة المباركة، خير من ألف شهر، قيل المراد ألف شهر على الحقيقة فتكون ليلةُ القدر خيراً من ثلاثة وثمانين عاماً وأربعة أشهر، وقيل إن ذكر الألف شهر، يقصد به جميع الدهر، لأن العرب تذكر الألف في غاية الأشياء، كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعني جميع الدهر.

وأما وجه خيرية هذه الليلة على الألف شهر، فالصحيح في ذلك أن العمل الصالح فيها، خير من العمل الصالح في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. وقيل وجه خيريتها لأن الله تعالى يقسم فيها من الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر.

والميزة الثالثة التي ذكرتها السورة لليلة القدر، قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾. والروح هو جبريل عليه السلام، وعطف على الملائكة من عطف الخاص على العام لبيان شرفه ومنزلته.

ومعنى الآية كما قال ابن كثير: «أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة، لكثرة بركتها، والملائكةُ يتنزلون مع تنزل البركة، والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له». اهـ كلامه.

وقال القرطبي في تفسيره ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي تهبط من كل سماء، ومن سدرة المنتهى، قال: فينزلون إلى الأرض، ويُؤَمّنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر. اهـ كلامه.

والميزة الرابعة لهذه الليلة الشريفة: أنها سلام حتى مطلع الفجر. أي هي ليلة سلامة، وأمن، وخير، ليس فيها شر، قال الضحاك: لا يقدّر الله في تلك الليل إلا السلامة، وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة. وقال مجاهد: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، أو يعمل فيها أذى.

وأرجح الأقوال أن ليلة القدر، هي ليلة سبع وعشرين من رمضان، لحديث زر بن حبيش قال: سألت أبي بن كعب رضي الله عنه، فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: مَن يَقُم الحولَ - أي السنة - يُصب ليلة القدر، فقال: رحمه الله أراد أن لا يتكَل الناس، أَمَا إنه قد علم أنها في رمضان، وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين، فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر. قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ - أي الشمس - لا شعاع لها. [رواه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده، والترمذي في جامعه وقال: حديث حسن صحيح].

قال ابن كثير في تفسيره: وفي الباب عن معاوية، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم عن رسول الله ﷺ، أنها ليلة سبع وعشرين، وهو قول طائفة من السلف، وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً. اهـ كلامه.

وقيل إنها ليلة إحدى وعشرين، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رأى في المنام كأنه يسجد في ليلة القدر في ماء وطين، قال أبو سعيد الخدري: «مطرنا ليلة إحدى

وعشرين، فوكف المسجد في مصلى رسول الله ﷺ فنظرت إليه، وقد انصرف من صلاة الصبح، ووجهه مبتلٌّ طيناً وماء» [رواه البخاري ومسلم. قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات].

وقيل: إن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين، لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد الخدري.

وقيل إنها ليلة أربع وعشرين، لحديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين». [أخرجه أبو داود الطيالسي بإسناد رجاله ثقات، والإمام أحمد في مسنده].

وقيل هي ليلة خمس وعشرين، وقيل ليلة تسع وعشرين، وقيل غير ذلك والله أعلم.

غير أن الذي عليه المعول أنها في العشر الأواخر من رمضان لما أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان». وأرجى ليالي العشر أوتارها، أي إحدى وعشرين، وثلاثٍ، وخمسٍ، وسبعٍ، وتسعٍ وعشرين. هذا، وذهب بعض الأئمة إلى أن ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر من سنة إلى أخرى كما نص عليه مالك، والثوري، وأحمد، وإسحاق وغيرهم.

ولا يخفى أن الله تعالى لم يعلمنا أي ليلة هي، لنجتهد في العبادة في سائر ليالي رمضان، فيكون ذلك أعظم لأجرنا، وأجزلَ لثوابنا، وهو رحمة من الله جل وعلا بنا.

ثم إن أفضل الدعاء في ليلة القدر، ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمتُ أيَّ ليلة ليلةُ القدر

ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صيح، ورواه الإمام أحمد في المسند، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين].

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا عفو يا غفور.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الخامس والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

عباد الله: إن من رحمة الله تعالى بعباده، أنه جل وعلا شرع لهم زكاة الفطر، ليتداركوا بها ما بدر منهم، مما يتنافى مع الصيام من الأقوال والأعمال، إذ إن زكاة الفطر تَجْبُر النقص الحاصل في الصيام، كما يجبر سجود السهو النقص الحاصل في الصلاة، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر: طُهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطُعمةً للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة ـ أي صلاة العيد ـ فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» [رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري].

يبيّن حديث ابن عباس، الحكمة من مشروعية زكاة الفطر، فيذكر غرضين جليلين، وهدفين عظيمين: الأول: تطهير الصائم من اللغو والرفث، والآخر هو إطعام المساكين.

فأما تطهير الصائم من اللغو والرفث، فهو جبر النقص الواقع في صيامه، لأن اللغو والرفث يتنافيان مع الصيام، ويجرحانه، وبالتالي يكون الصيام غير جدير بالقبول، فتأتي زكاة الفطر، لتسد الخلل

الحاصل فيه، وتجعلَه بفضل الله تعالى أهلاً للقبول، كما جاء عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم رمضان معلق بين السماء والأرض، ولا يرفع إلا بزكاة الفطر» [رواه أبو حفص بن شاهين، في فضائل رمضان، وقال: حديث غريب جيد الإسناد].

وأما إطعام المساكين، فهو مواساة لهم بمناسبة عيد الفطر، ليشترك المسلمون جميعاً: غنيُّهم وفقيرهم في فرحة العيد، ولتدخل البهجة والسعادة، ويلجَ السرور والحبور قلوب أطفالهم جميعاً، في يوم العيد، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، وقال: أغنوهم في هذا اليوم» [رواه الدارقطني والبيهقي]، وفي رواية للبيهقي: «أغنوهم عن طواف هذا اليوم».

وزكاة الفطر واجبة باتفاق أهل العلم، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» [رواه البخاري ومسلم].

قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم، على أن صدقة الفطر فرض. وقال إسحاق: هو كالإجماع من أهل العلم.

وتجب زكاة الفطر على كل مسلم، مَلَك قوته، وقوت عياله، ليلة العيد، ويوم العيد، عند جمهور العلماء، حتى إنه عند المالكية، إذا كان قادراً على الاستدانة مع رجاء الوفاء، وجب عليه أن يستلف، ويؤدي زكاة الفطر.

وبه يتبين أن زكاة الفطر تجب على الجمهور الغالب من المسلمين، حتى إن كثيراً ممن يأخذون زكاة الناس بدعوى أنهم فقراء، تجب عليهم زكاة الفطر، لأنهم في الغالب يملكون طعام ليلة العيد، ويوم العيد.

وقال فقهاء الحنفية: لا تجب زكاة الفطر إلا على من ملك نصاباً، فاضلاً عن حوائجه الأصلية، وفاضلاً عن ديونه كذلك. والنصاب هو المقدار من المال الذي تجب فيه الزكاة، وهو من الفضة ما يعادل ثمن ستمائة غرام تقريباً، ومن الذهب ما يعادل ثمن خمسة وثمانين غراماً تقريباً.

ويخرج المسلم زكاة الفطر عن نفسه، وعن زوجه، وأولاده الصغار، وكل من تلزمه نفقته، كوالديه الفقيرين، وبناته حتى الزواج، وقال المالكية والحنابلة: يخرج زكاة الفطر عن خدمه أيضاً، إذا كان ينفق عليهم، لأن الفطرة تابعة للنفقة، لعموم حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أمرنا النبي ﷺ بصدقة الفطر: عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون» [رواه الدارقطني].

حتى إنه لو تبرع بطعام شخص جميع شهر رمضان، أدى فطرته لعموم الحديث السابق.

ومن أخرج زكاة الفطر عمن لا تلزمه فطرته من أقربائه، ينبغي أن يستأذنه قبل إخراجها، وإلا لم تجزئ عنه. ويستحب إخراج زكاة الفطر عن الجنين في بطن أمه، ولا تجب.

ووقت إخراج زكاة الفطر، قبل العيد بيوم، أو يومين، لا أكثر من ذلك، لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «وكانوا يعطون قبل العيد بيوم أو يومين». وقال الشافعية والحنفية: يجوز دفع زكاة الفطر خلال رمضان كله، لكن قول المالكية والحنابلة أولى، لأن الحكمة من زكاة الفطر إغناء الفقراء في يوم العيد، فلا ينبغي تقديمها على العيد بأكثر من يوم أو يومين.

ولا ينبغي أن تؤخر زكاة الفطر عن صلاة العيد، فإن أخرها كره، إذا أداها في يوم العيد، وإن أخرها إلى اليوم الثاني كان آثماً.

ومقدار زكاة الفطر صاع من غالب قوت البلد، كالقمح والشعير والأرز والتمر وما أشبه ذلك، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج زكاة الفطر، إذ كان فينا رسول الله ﷺ صاعاً من طعام، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من أقط، فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه ما عشتُ». [رواه البخاري ومسلم وغيرهما. والأقط: لبن يابس غير منزوع الزُّبد].

والصاع أربعة أمداد، والمد ما يملأ كفي رجل معتدل الكفين، فالصاع أربع حفنات بكفي رجل معتدل الكفين. ويختلف وزن الصاع بحسب اختلاف الوزن النوعي لكل مادة، وهو قريب من ثلاثة كيلوغرام.

ولا يجوز دفع القيمة من النقود عند جمهور الفقهاء، لأن رسول الله ﷺ حدد أصنافاً، وسماها بأسمائها، فلا بد من دفع مقدار الواجب من واحد من هذه الأصناف، وأولاها بالدفع في هذه الأيام الأرز، لأنه غالب قوت الناس، في كثير من بلاد المسلمين في هذا العصر.

وذهب فقهاء الحنفية إلى جواز دفع قيمة زكاة الفطر من النقود، واحتجوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، قال عبد الله: فجعل الناس عِدْله مدين من حنطة» رواه [البخاري].

قال الطحاوي: المراد بالناس الصحابة، فيكون إجماعاً، ولكن الجمهور لا يسلمون لهم بهذا الفهم للحديث. واحتجوا كذلك بأن عمر بن عبد العزيز كان يقبل قيمة زكاة الفطر نصف درهم، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الثامن والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

عباد الله: نحن في أخريات ليالي عشر العتق من النار، والنجاة من عذاب جهنم، أعظمِ ما يرغب فيه المسلم، ويحرص عليه المؤمن، لأن العتق من النار يؤهل المسلم لدخول الجنة، وذلك الفوز العظيم، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

غير أن هناك صفةً، ينبغي لمن حرص على العتق من النار أن يتجنبها، ومن رغب أن يكون في هذا العشر الأخير، من عتقاء الله تعالى من النار، فليحذر أن يكون من المتكبرين، لأن الكبر يكب صاحبه في النار، ويحول بينه وبين الجنة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله لوجهه في النار» [رواه الإمام أحمد ورواته رواة الصحيح].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [رواه مسلم].

وقد يسألني سائل، أرأيت هذا المتكبر، إذا صام رمضان إيماناً واحتساباً، ألا تغفر ذنوبه ويدخل الجنة؟ وإن قام رمضان إيماناً واحتساباً، ألا تغفر ذنوبه ويدخل الجنة؟ وإن فطّر الصائمين في رمضان، ألا تغفر ذنوبه، ويعتق من النار؟ وفي كل ذلك أحاديث صحاح؟!

أقول في الجواب، وبالله التوفيق، إن المتكبر إذا صام، أو قام، لا يرزق الإخلاص في العمل، وإذا فطّر الصائمين غَلَب عليه الرياء والمباهاة، وبذلك يرد عليه عمله، لأن المتكبر مصروف عن الاتعاظ والاهتداء، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ولأن المتكبر مطبوع على قلبه، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] ولأن العمل الصالح إنما يتقبله الله تعالى من الخاشعين، المخبتين، المتواضعين لجلال الله تعالى وعظمته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

والكبر من أسوأ الرذائل الخلقية التي نهى الإسلام عنها، وحذّر أتباعه من الانزلاق إليها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧]. وقال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

والإنسان مخلوق ضعيف، خلقه الله تعالى من ماء مهين، ثم يرد إلى حفرة في التراب، وهو أسير سنن الله تعالى في الحياة، لا يملك خروجاً عنها، ولا افتكاكاً من أسرها، تعتريه الأمراض فتُلزمه الفراش، وتدب إليه الشيخوخة، فلا يملك منها مهرباً ولا ملجأ، وينزل به

الموت فلا يستطيع له دفعاً ولا ردعاً، ويتعفن بعد الموت، ويقبح شكله، فلا يملك لذلك تغييراً ولا تبديلاً.

إن اللائق بالإنسان التواضعُ لخالقه، وهو لا يستغني عن رحمته لحظة، والانكسارُ لرازقه، وهو لا يجد رزقاً إلا من فضل الله تعالى وعطائه، لذلك فإن كبر الإنسان قبيح، بسبب ضعفه، ونقصه، واحتياجه، والتكبر صفة رب العالمين، لأنه الخالق، المالك، المتصرف في الخلق بما يشاء، القوي القادر، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]. فمن نازع الله تعالى في صفته الخاصة به جل وعلا، عرّض نفسه لعذاب الله جل وعلا، وعقابه، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل ـ أي في الحديث القدسي ـ العز إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني عذبته» [رواه مسلم].

وإذا كان الجزاء من جنس العمل، فإن المتكبر مستحق لأن يُذله الله تعالى ويكتبَ له الصغار، والهوان في قلوب عباده، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة ـ أي لجام ـ بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته» [رواه الطبراني، والبزار بنحوه من حديث أبي هريرة، وإسنادهما حسن].

وهذا الإذلال ليس في الدنيا فقط، بل إن للمتكبر في الآخرة إذلالاً أشد، وإهانة أعظم، كما جاء عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن].

وأشد من ذلك، وأعظم، غضب الله تعالى عليه، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يختال في مشيته، ويتعاظم في نفسه، إلا لقي الله وهو عليه

غضبان» [رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني بنحوه، ورواته محتج بهم في الصحيح].

وإذا سألني سائل ما حقيقة الكبر؟ أقول: إن الكبر كما عرّفه رسول الله ﷺ هو أمران، أحدهما: ردّ الحق، وعدمُ قبوله، والترفعُ عن الخضوع لحكم الشريعة، لأن الحق ما وافق شرع الله تعالى، والآخر: احتقار الناس، وانتقاصهم، والترفع عليهم. كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس» [رواه مسلم].

وبطر الحق: دفعه، ورده على قائله، وغمط الناس: احتقارهم.

فالحديث الشريف، يبين لنا أن الكبر صفة تتعلق بقلب الإنسان، لا بمظهره الخارجي، فالثوب الحسن، والمظهر الأنيق، ليس أيٌّ منهما دليلاً على الكبر، ولا على العجرفة، بل هو صفة ممدوحة، إذا كان الدافع إليه مشروعاً، لأن الله تعالى جميل يحب الجمال.

وقد يكون الإنسان متكبراً، على الرغم من رثاثة منظره، ووضاعة ثيابه، وابتذال مظهره، كما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والكبر، فإن الكبر يكون في الرجل، وإن عليه العباءة». [رواه الطبراني في الأوسط ورواته ثقات].

فليحذر الكبرَ كل من حرص على العتق من النار، في هذه الليالي المباركة، والأيام الفاضلة.

ولنقل جميعاً: اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والكبر والعصيان، واجعلنا اللهم من الراشدين.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس التاسع والعشرون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾. فالتقوى هي الغاية المنشودة من الصيام، وهي الهدف المرجو من هذه الفريضة. ونحن اليوم في آخر رمضان، صمنا أيامه، وقمنا في لياليه، فهل وصلنا إلى التقوى؟

هذا سؤال لا بد أن يطرحه كل مسلم على نفسه في آخر رمضان، ليعرف إن كان قد نجح في صيامه أو فشل، وليدرك هل فاز في مدرسة الصوم، أم كان فيها من الراسبين؟ وقد يسألني سائل: وما هي التقوى؟ لنعرف إن كنا قد فزنا بها أم لا؟

أقول: أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه، ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى الله تعالى أن تجعل بينك وبين عذاب الله تعالى، وسخطه وقاية، وذلك بفعل ما أمر الله تعالى به، واجتناب ما نهى الله عنه.

والتقوى لها حد أدنى وحد أعلى، فحدها الأدنى أداء ما

افترض الله تعالى على العبد، وتركُ ما حرم، كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله تعالى تركُ ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً، فهو خير إلى خير.

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدَّوْا ما افترض الله عليهم. وقال أبو هريرة رضي الله عنه، وقد سئل عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى. ومراد أبي هريرة رضي الله عنه، أن التقوى هي اجتناب ما حرم الله تعالى. ومعلوم أن أداء الفرائض داخل في ذلك، لأن عدم أداء الفرائض حرام، واجتنابُ الحرام يعني أداء الفرائض.

وأما الحد الأعلى للتقوى، فهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر. وقد يسألني سائل: وهل يستطيع ذلك إنسان؟ أقول: إن الله تعالى بيّن المراد من هذه الآية بقوله جل وعلا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. قال الإمام النووي: هذه الآية مبيّنة للمراد من الأولى.

ويدخل في الحد الأعلى للتقوى، وهي التقوى الكاملة، كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: فعلُ الواجبات، وتركُ المحرمات والشبهات، قال: وربما دخل فيها بعد ذلك، فعلُ المندوبات، وتركُ المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى. اهـ كلامه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: تمام التقوى أن يتقي الله

العبدُ، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعضَ ما يرى أنه حلال خشيةَ أن يكون حراماً. اهـ.

أقول: ويؤيد قولَ أبي الدرداء، حديثُ رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس» [رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن عطية السعدي، وقال الترمذي: حسن غريب].

فمن وصل إلى أدنى درجات التقوى كان من الفائزين في مدرسة رمضان، ومن وصل إلى أعلى درجات التقوى، كان في المرتبة العليا من النجاح والفوز والفلاح، وآية فوز الإنسان في مدرسة الصوم، أن يكون بعد رمضان، خيراً مما كان قبل رمضان، في مستوى أدائه العبادات، والتزامه حدود الله تعالى، لا يجاوز ما أحل الله تعالى إلى ما حرم، مهما كانت المغريات.

كما أن آية الفشل في مدرسة الصوم، أن يعود الإنسان بعد رمضان، إلى ما كان عليه قبلُ، من لهوٍ وغفلة، وتقصير في الواجبات الشرعية، ومقارفة للذنوب والسيئات، وهذا الإنسان، ممن قال فيه جبريل عليه السلام: «من أدرك شهر رمضان، فلم يغفر له، فدخل النار، فأبعده الله، فقال رسول الله ﷺ: آمين». [رواه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما].

وأَزُفُّ إلى الفائزين في مدرسة الصوم، بشرى أنهم أصبحوا في عداد المتقين، وما أدراك ما المتقون؟!

إنهم أولاً أحباب الله جل وعلا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

ولهم ثانياً معية الله تعالى، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]. أي معهم بالتوفيق والهداية، والتأييد والرعاية، والحفظ والحماية.

والمتقون ثالثاً: أولياء الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]. وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

والمتقون رابعاً: فازوا برحمة الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال جل من قائل: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ومن ثمرات التقوى، تأييد الله جل وعلا، كما في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥].

ومن ثمرات التقوى سادساً: تكفير السيئات، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٥].

وسابعاً: أن يجعل الله تعالى للمتقين فرقاناً، يميزون به بين الحق والباطل، والنافع والضار، كما قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

وثامناً: تَقَبُّلُ الحسنات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وتاسعاً: رد كيد الأعداء قال عز وجل: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وعاشراً: سعة الرزق وتيسيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وحادي عشر: النجاة في الأزمات، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢].

وثاني عشر: تيسير الأمور كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

ومن ثمرات التقوى، الفوز بالجنة التي أعدت للمتقين، والنجاة من النار التي أعدت للكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

اللهم أدخلنا في زمرة المتقين، بفضلك، ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛ فهذا هو الدرس الثلاثون من دروس الإيمان في شهر رمضان.

عباد الله: لقد انقضى رمضان ومضى إلى ربه، وكذلك تمضي أيام عمر الإنسان ولياليه، تنقضي سريعاً، وكلُّ يوم يمضي يقرب الإنسان من أجله، وما يدري المسلم، هل يقسم له أن يشهد رمضان آخر، فيسعد بطاعة الله تعالى فيه، أم يقضى عليه، فيموت في سنته، فلا يرى رمضان، ولا غيره من الشهور والأيام. اللهم أَعِدْ علينا رمضان أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة، وارزقنا في كل منها صياماً مقبولاً، وقياماً مرضياً، ومغفرة للذنوب، وستراً للعيوب، ونوالاً للرغائب، ونجاة من النوائب وعتقاً من النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

لا ينبغي للمسلم الموفق، أن تكون نهايةُ رمضان آخر عهده بالصيام، ولا خاتمةَ عهده بالقيام، بل ينبغي أن يستمر بعد رمضان على صيام ما، وقيام ما، يستطيع أن يستمر عليه، دون مشقة ولا حرج، فإنَّ أحب الأعمال إلى الله تعالى، ما داوم عليه صاحبه، وإن قل، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ، سئل أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومه وإن قل». [رواه البخاري ومسلم].

وقال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]. في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الطاعة، والاستمرار فيها.

وفي القرآن الكريم، وعد حسن بالجزاء الجميل، على الاستقامة على طاعة الله تعالى، والاستمرار والمداومة عليها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

فالاستقامة على طاعة الله تعالى، من خير ما يرزق العبد المؤمن، ولذلك عندما جاء رجل إلى رسول الله، وسأله وصيةً جامعة، تُغنيه عن كل وصية أخرى، أمره بالاستقامة على طاعة الله تعالى. كما جاء عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» [رواه مسلم في صحيحه].

وينبغي للمسلم الموفق، أن يستمر بعد رمضان، في قيام شيء من الليل، وإن كان يسيراً، ولا ينبغي أن يدع قيام الليل بالكليّة. ولو أن يصلي في اليوم ركعتين، وكل صلاة بعد العشاء هي من قيام الليل. فقد جاء عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومَكْفَرة للسيئات، ومنهاةٌ عن الإثم» [رواه الترمذي، وابن خزيمة، والحاكم، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري].

وعن إياس بن معاوية المزني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ

قال: «لا بد من صلاة بليل ولو حَلْبَ شاة، وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل» [رواه الطبراني ورواته ثقات].

وينبغي للمسلم الموفق أن لا يهجر الصيام بعد رمضان، فإن الصيام من أفضل العبادات، وأكثرها أجراً، وما زال الصالحون من عباد الله تعالى، من الصحابة فمن بعدهم، يستكثرون من صيام النفل على درجات، كل بحسب قوة جسمه، وظروف حياته، ومن الصيام المستحب، صيام ستة أيام من شوال، كما جاء عن أبي أيوب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» [رواه مسلم]. ولا يشترط التتابع في ستة الأيام من شوال، ويبدأ صيامها من اليوم الثاني من شوال، لأن صيام يوم العيد محرم.

ومن الصيام المستحب، صوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

وكذلك يستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل أن تكون: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وهي الأيام البيض، فقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله» [رواه البخاري ومسلم].

وعن قتادة بن مِلْحان رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة» [رواه أبو داود والنسائي ورجاله ثقات].

ويستحب صيام يوم عرفة لغير الحاج، فقد جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: «يكفر السنة الماضية والباقية» [رواه مسلم].

وكذلك يستحب صيام يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر المحرم، ويفضل أن يضاف إليه التاسع أيضاً، فقد جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «يكفر السنة الماضية» [رواه مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل ـ أي العام القادم ـ لأصومن التاسع» [رواه مسلم].

وشهر المحرم، يستحب أن يصوم منه المسلم ما استطاع، وكذلك شهر شعبان، فقد جاء في المحرم، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» [رواه مسلم].

وجاء في شعبان حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله. وفي رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلاً. رواه البخاري ومسلم.

ومن لم يتيسر له المحافظة على صيام هذه الأيام جميعاً، فلا أقل من أن يحافظ على ثلاثة أيام من كل شهر يصومها، سواء كانت متتابعة، أو مفرقة، من أي موضع من الشهر كانت. المهم أن لا يهجر المسلم الصيام بعد رمضان.

هذا، وأسأل الله تعالى لي ولكم: الهداية والقبول، والتوفيق لما يحب ويرضى، وأن يرزقني وإياكم طول العمر في طاعته إنه سميع مجيب. وكل عام وأنتم بخير.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الدرس الأول: مدرسة رمضان (١)	٦
الدرس الثاني: مدرسة رمضان (٢)	١٠
الدرس الثالث: شهادة أن لا إله إلا الله	١٤
الدرس الرابع: كثرة الاستغفار	١٨
الدرس الخامس: سؤال الجنة والتعوذ من النار	٢٢
الدرس السادس: تلاوة القرآن ومدارسته	٢٧
الدرس السابع: شهر الصبر	٣٢
الدرس الثامن: الصبر ثوابه الجنة	٣٦
الدرس التاسع: شهر المواساة	٤١
الدرس العاشر: تفطير الصائمين	٤٥
الدرس الحادي عشر: حسن معاملة الخدم والأجراء	٥٠
الدرس الثاني عشر: صلة الرحم	٥٤
الدرس الثالث عشر: الزكاة (١)	٥٩
الدرس الرابع عشر: الزكاة (٢)	٦٣
الدرس الخامس عشر: التحذير من الكذب	٦٨
الدرس السادس عشر: النهي عن الإسراف	٧٢
الدرس السابع عشر: غزوة بدر الكبرى (١)	٧٦
الدرس الثامن عشر: غزوة بدر الكبرى (٢)	٨٠
الدرس التاسع عشر: الدعاء	٨٥
الدرس العشرون: العشر الأخير من رمضان	٩٠

الدرس الحادي والعشرون: فتح مكة ٩٥
الدرس الثاني والعشرون: إنما الصيام من اللغو والرفث ١٠٠
الدرس الثالث والعشرون: لا تغضب ١٠٤
الدرس الرابع والعشرون: ذكر الموت والاستعداد للحساب ١٠٨
الدرس الخامس والعشرون: العمرة في رمضان ١١٢
الدرس السادس والعشرون: ليلة القدر ١١٧
الدرس السابع والعشرون: زكاة الفطر ١٢٢
الدرس الثامن والعشرون: التحذير من الكبر ١٢٦
الدرس التاسع والعشرون: التقوى ١٣٠
الدرس الثلاثون: الاستقامة ١٣٥
الفهرس ١٣٩

من منشوراتنا

من مؤلفات فضيلة الشيخ علي الطنطاوي

١ ـ ذكريات (صدر في ثمانية أجزاء).
٢ ـ فتاوى علي الطنطاوي.
٣ ـ تعريف عام بدين الإسلام.
٤ ـ مع الناس.
٥ ـ الجامع الأموي في دمشق.
٦ ـ رجال من التاريخ.
٧ ـ قصص من التاريخ.
٨ ـ أبو بكر الصديق.
٩ ـ هتاف المجد.
١٠ ـ في سبيل الإصلاح.
١١ ـ صور وخواطر.
١٢ ـ فكر ومباحث.
١٣ ـ بغداد.
١٤ ـ قصص من الحياة.
١٥ ـ من حديث النفس.
١٦ ـ فصول إسلامية.
١٧ ـ مقالات في كلمات.
١٨ ـ صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي (تجليد فني). تحقيق الطنطاويين.
١٩ ـ صور من الشرق (في أندونيسيا).
٢٠ ـ رسائل ومقالات ومحاضرات:
* قصة حياة عمر.
* من شوارد الشواهد.
* من غزل الفقهاء.
* القضاء في الإسلام.
* يا بنتي ويا ابني.
* ارحموا الشباب.
* طريق الجنة وطريق النار.
* صلاة ركعتين.
* قصتنا مع اليهود.
* طرق الدعوة إلى الإسلام.
* موقفنا من الحضارة الغربية.
* تعريف موجز بدين الإسلام.
* المثل الأعلى للشاب المسلم.

تفسير ودراسات في القرآن الكريم والقراءآت

١ ـ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه. (تجليد فني) للإمام مكي أبي طالب القيسي.
تحقيق د. أحمد حسن فرحات.
٢ ـ تحفة الأقران فيما قرىء بالتثليث من حروف القرآن (لأبي جعفر الرعيني).
تحقيق د. علي البواب.
٣ ـ فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن.
(تفسير وبيان) الشيخ محمد محمود الصواف.
٤ ـ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
د. صلاح عبدالفتاح الخالدي.
٥ ـ مباحث في إعجاز القرآن.
د. مصطفى مسلم.
٦ ـ الظاهرة الجمالية في القرآن.
نذير حمدان.
٧ ـ رسم المصحف العثماني.
د. عبدالفتاح الشلبي.
٨ ـ الأحرف السبعة للقرآن.
د. عبدالمهيمن الطحان.
٩ ـ الإمام أبو عمرو الداني وكتابه جامع البيان.
د. عبدالمهيمن الطحان.

حديث وفقه

١ ـ فضائل الأوقات (للإمام البيهقي).
تحقيق عدنان عبدالرحمن مجيد القيسي.
٢ ـ التذكرة في الفقه الشافعي (تجليد فني).
للإمام ابن الملقن، تحقيق ياسين الخطيب.
٣ ـ الإجتماع والإفتراق في الحلف بالطلاق.
لشيخ الإسلام ابن تيمية.
تصحيح وتعليق محمد بن أحمد سيد أحمد.
٤ ـ مباحث في علم المواريث.
د. مصطفى مسلم.
٥ ـ أحكام الرخص في الشريعة الإسلامية.
د. حسين خلف الجبوري.
٦ ـ الإمام البخاري وصحيحه.
د. عبدالغني عبدالخالق.
٧ ـ حقيقة الجن في الكتاب والسنة.
الشيخ ناجي الطنطاوي.
٨ ـ من أحكام اليمين.
الشيخ ناجي الطنطاوي.
٩ ـ مختصر الأباطيل والموضوعات (للحافظ الذهبي).
تحقيق د. محمد حسن الغماري.

دراسات في البلاغة والأدب الإسلامي والنقد الأدبي

١ ـ معجم البلاغة العربية.
د. بدوي طبانة.
٢ ـ البيان العربي.
د. بدوي طبانة.
٣ ـ الصورة بين البلاغة والنقد.
د. أحمد بسام ساعي.
٤ ـ مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي.
د. عبدالباسط بدر.
٥ ـ من قضايا الأدب الإسلامي.
د. آدم صالح بيلو.
٦ ـ الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد.
د. أحمد بسام ساعي.
٧ ـ مقدمة لدراسة الأدب الإسلامي.
د. مصطفى عليان.
٨ ـ نصوص من أدب الحروب الصليبية.
د. عمر الساريسي.
٩ ـ خصائص القصة الإسلامية.
د. مأمون فريز جرار.
١٠ ـ التورية وخلو القرآن منها.
د. محمد جابر فياض.
١١ ـ البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحاً.
د. محمد جابر فياض.
١٢ ـ الكناية لغة واصطلاحاً.
د. محمد جابر فياض.
١٣ ـ محاضرات في تحقيق النصوص.
د. أحمد محمد الخراط.
١٤ ـ إعراب الحديث النبوي (للإمام أبي البقاء العكبري).
تحقيق د. حسن الشاعر.
١٥ ـ السنوات الرهيبة (رواية إسلامية تاريخية).
تأليف: جنكيز ضاغجي.
ترجمة وتقديم: د. محمد حرب.
١٦ ـ عرباء والشيخ والزنديق (قصة مسرحية).
د. أحمد بسام ساعي.
١٧ ـ العبور (مسرحيات إسلامية).
د. عمادالدين خليل.
١٨ ـ ورقات من الزيتون (شعر).
د. آدم صالح بيلو.
١٩ ـ من جانب الطور (أناشيد إسلامية).
شريف القاسم.

مواضيع متنوعة
(إسلاميات ـ تربية ـ إعلام)

١ ـ كلمات نافعة.
الشيخ ناجي الطنطاوي.
٢ ـ الجهاد في سبيل الله (١ ـ ٢). (تجليد فني).
د. عبدالله أحمد القادري.
٣ ـ الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية.
الشيخ أبو الحسن الندوي.
٤ ـ أمريكا من الداخل بمنظار السيد قطب.
د. صلاح عبدالفتاح الخالدي.
٥ ـ فلسفة التربية الإسلامية.
د. ماجد عرسان كيلاني.
٦ ـ الأهداف التربوية السلوكية (عند ابن تيمية).
فوزية رضا أمين خياط.
٧ ـ المرشد في كتابة البحوث التربوية.
د. عبدالرحمن عبدالله/ د. حلمي فوده.
٨ ـ مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية.
د. عباس مدني.
٩ ـ الرسول في كتابات المستشرقين.
نذير حمدان.
١٠ ـ هذا أبو ذر. (تجليد فني).
حسني الشيخ عثمان.
١١ ـ وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة.
محمد موفق غلاييني.
١٢ ـ منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية.
سليم عبدالله حجازي.
١٣ ـ السلطان عبدالحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية.
محمد قربان نياز ملا.
١٤ ـ العرب والإسلام.
أبو الحسن الندوي.
١٥ ـ الضياء اللامع من الخطب الجوامع.
محمد صالح بن عثيمين.
١٦ ـ زاد الدعاة (خطب فكرية معاصرة) ٢/١.
د. عبدالمهيمن الطحان.
١٧ ـ المستشرقون.
د. محمد عابد السفياني.
١٨ ـ التكفير (جذوره ـ أسبابه ـ مبرراته).
د. نعمان السامرائي.
١٩ ـ الإسلام والوعي الحضاري.
د. أكرم ضياء العمري.
٢٠ ـ الإسلام والتنمية الاجتماعية.
د. محسن عبدالحميد.
٢١ ـ إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن.
أحمد البراء الأميري.
٢٢ ـ عبقرية خالد بن الوليد العسكرية.
محاضرة للقائم مقام أحمد بك اللّحام.
تقديم الشيخ علي الطنطاوي.
٢٣ ـ نتائج الأفهام في تحقيق مولده عليه السلام.
محمود باشا الفلكي.
٢٤ ـ العلاقات العامة في عصر النبوة (سيرة).
د. مصطفى الدميري.
٢٥ ـ الأقليات الإسلامية في العالم اليوم.
د. علي المنتصر الكتاني.
٢٦ ـ أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي.
د. عباسي مدني.
٢٧ ـ تلبيس مردود في قضايا حية.
د. صالح بن عبدالله بن حميد.
٢٨ ـ أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم الآباء البيض.
الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني.
٢٩ ـ نظرية الاتصال عند الصوفية.
الأميرة سارة بنت عبدالمحسن بن حيوي آل سعود.

في الطب والصحة

١ ـ الأمراض الجنسية (أسبابها وعلاجها).
د. محمد علي البار.
٢ ـ الإيدز وباء العصر.
د. محمد علي البار ـ د. أيمن صافي.
٣ ـ أولويات طب الأطفال في العالم العربي.
د. ديفيد مورلي ـ د. حسن بله أمين.
٤ ـ الجنين المشوه والأمراض الوراثية.
(الأسباب ـ العلامات ـ الأحكام).
د. محمد علي البار.
٥ ـ زيت الزيتون بين الطب والقرآن.
د. حسان شمسي باشا.
٦ ـ الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوت.
د. حسان شمسي باشا.
٧ ـ النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن.
د. حسان شمسي باشا.
٨ ـ الخمر ومشكلاتها في عالم اليوم (محاضرة).
د. نبيل الطويل.
٩ ـ الأسودان (التمر والماء).
د. حسان شمسي باشا.

كتب مترجمة

١ ـ تعريف عام بدين الإسلام للشيخ علي الطنطاوي:
باللغة الإسبانية.
باللغة البرازيلية.
باللغة الإندونيسية.
باللغة الإنجليزية.
٢ ـ تعليم الصلاة للشيخ محمد محمود الصواف:
باللغة الإسبانية.
باللغة البرازيلية.
٣ ـ الأربعون النووية:
باللغة الفرنسية.